

الحزب

الثاني

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

المشيئة والإرادة والأمر

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات : ٥٦} . قال ابن عباس رضي الله عنه : ليعرفون .

قال تعالى فيما يُروى ، ويصح كشفاً : (كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا ، فَأَرَدْتُ (فَأَخْبَيْتُ) أَنْ أُعْرَفَ ؛ فَخَلَقْتُ خَلْقًا ، فَبَيَّ عَرَفُونِي) .

فالبداية هي إرادته تعالى أن يُعرف .

فتلاها الأمر بـ "كُنْ" لإظهار الخلق من العدم .

فكانت الإرادة هي أول التوجهات .

والتكون - بالأمر (كُنْ) - هو أول الانفعالات .

اعلم أن الإرادة صفة تجلي علم الحق ، على حسب المقتضى الذاتي ، فذلك المقتضى هو الإرادة ، وهي تخصيص الحق تعالى لمعلوماته بالوجود ، على حسب ما اقتضاه العلم ، فهذا الوصف فيه : تسمى الإرادة .

والإرادة المخلوقة فينا هي عين إرادة الحق سبحانه وتعالى ، لكن لما نسبت إلينا كان الحدوث اللازم لنا لازماً لوصفنا . فقلنا بأن الإرادة مخلوقة : يعني

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

إرادتنا . وإلا فهي بنسبتها إلى الله تعالى عين الإرادة القديمة ، التي هي له . وما منعناها من إبراز الأشياء على حسب مطلوبها ، إلا لنسبتها إلينا ، وهذه النسبة هي المخلوقة ، فإذا ارتفعت النسبة التي لها إلينا ، ونُسبت إلى الحق على ما هي عليه ، له ؛ انفعلت بها الأشياء ، فافهم .

كما أن وجودنا - بنسبته إلينا - مخلوق . ونسبته إلى الله ، قديم . وهذه النسبة هي الضرورية ، التي يعطيها الكشف والذوق ، أو العلم القائم مقام العين ، فما ثم إلا هذا .

فاعلم أن الإرادة الإلهية المخصصة للمخلوقات ، على كل حالة وهيئة ، صادرة من غير علة ، ولا بسبب ، بل محض اختيار إلهي ؛ لأنها : أعني الإرادة ، حكم من أحكام العظمة ، أو وصف من أوصاف الألوهية ، فألوهيته وعظمته لنفسه ، لا لعله . وهو تعالى مُختار في الأشياء ، متصرف فيها بحكم اختيار المشيئة ، الصادرة لا عن ضرورة ، ولا مريد ، بل شأن إلهي ، ووصف ذاتي ، كما صرح تعالى عن نفسه في كتابه فقال : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ ﴾ {القصص : ٦٨} . فهو القادر المختار العزيز الجبار المتكبر القهار .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ ﴾ {الكهف : ٢٩} . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾ {الإنسان : ٢٩ - ٣٠} . ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ (٢٩) ﴾ {التكوير : ٢٨ - ٢٩} . هنا أثبت الحق للخلق المشيئة في الشريعة ، وسلبها عنهم في الحقيقة ؛ ليثبت أن الإنسان مسير في تخييره .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾ {الإنسان : ٣٠ ، التكوير : ٢٩} . فالحقيقة أنها مشيئة الله ، لا مشيئتك ، وأنت تشاء بها . فإن كانت في أحد إرادة ، فالحق عين إرادته ، فالمشيئة التي يجدها العبد في نفسه ، هي عينها مشيئة ربه ، فهو عين مشيئة كل شيء . فقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾ {الإنسان : ٣٠ ، التكوير : ٢٩} . هو تلقين حجة ، ورحمة من الله ، وفضل . وهو سبب مآل الخلق إلى الرحمة . فإن الله يعذر خلقه بذلك فيما كان منهم .

كقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ {الانفطار : ٦} . فتقول : كرمك يا رب .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

وكقوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {التوبة : ١١٨} . فلولا توبة الله لما تاب تائب .

ولأن الإنسان هو الخليفة عن الحق في هذه الدار ، فإن مشيئته تسري في الأقدار ، سريان مشيئة مُسْتَخْلِفِهِ . ألا ترى إلى الرجل الذي لعن دابته ، فقال له النبي ﷺ : ﴿انْزِلْ عَنْهُ ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ﴾ (١) .

ألا ترى أن هذا الخليفة يُعَيَّرُ الأكوان بكلمة : فيتزوج ويطلق ، ويتحكم بموت الآلاف بكلمة منه ويعيش الآلاف بكلمة منه ، ويتغير وجه التاريخ بكلمة منه .

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {النحل : ٤٠} . فالأمر هو التالي للإرادة ، وعنه تكون الانفعالات .

فلا شيء يحدث إلا بأمر الله ، قال تعالى : ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ {آل عمران : ١٥٤} .

١ - بهذا اللفظ رواه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله ؓ . قالها ﷺ لمن لعن دابته . وبلغظ : ﴿انْزِلْ عَنْهُ ، لَا يَصْحَبْنَا مَلْعُونٌ﴾ رواه الطحاوي في مشكل الآثار والهيتمي في موارد الظمان عن عبادة بن الصامت ؓ . ثم شرح النبي ﷺ ذلك قائلاً : ﴿لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ . لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ﴾ .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ {الإسراء : ١٦} . فهنا توجهت إرادته تعالى على المترفين . فلم يخرجوا بفسقهم عن إرادته قيد أنملة ، فتحققت إرادته فيهم بالإهلاك . مما سبق يتضح أن المشيئة والإرادة والأمر كله لله ، ليس للبشر في ذلك شيء ، وليس فيه تفرقة بين خير وشر ، هذا لمن يوقن أنه : لا حول ولا قوة إلا بالله ، التي هي كنز من كنوز الجنة .

وذلك لأن الخير والشر من الأمور الخلقية (الشفعية) أي من الأمور الزوجية المتقابلة التي لا يراها إلا من أكل من الشجرة ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا ﴾ {الأعراف : ٢٢} . فهذا يعني أن السوء موجودة في عين الخلق ، وليس في عين الحق . ولذا كان البشر في الحشر عراة ! .

فمن لا يوقن بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) فهو كمن أكل من الشجرة ، فهو يرى أنه الفاعل ، وأنه حر مختار ، وأنه له حول وقوة ، ومشية وإرادة وأمر ، فهذا هو الذي يرى الخير والشر ، لذلك قيل أن الله تعالى يريد للخير والشر ، ولا يرضى إلا بالخير : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۚ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۝ ﴾ {الزمر : ٧} .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

إذا رجع العبد إلى ربه ، وجده تعالى ينتظره بالشوق ، يفرح بعودته إليه كمن ضاعت بهيمته في فلاة وعليها زاده ثم وجدها ، كما في الحديث الصحيح (١) .

يقول الله تعالى عن عبده فيما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول ﷺ : قال الله تعالى في الحديث القدسي المشهور : ﴿...كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ...﴾ الحديث (٢) . عندها يعلم العبد أن الله هو الفاعل فيه على الحقيقة ، وعندها يدرك لماذا كانت (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة .

١ - رواه مسلم في صحيحه (واللفظ له) والترمذي وصححه والنسائي والطبراني في الدعاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ ﷺ قَالَ : ﴿ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ ﴾ .

٢ - رواه البخاري وابن حبان في صحيحه والبيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه . وأبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

والكنز لا بد له من الخفاء والستر ، فالله هو سمع وبصر الكل ، سواء كان مؤمناً أو كان كافراً ، ولكنه تعالى لم يكشف عن ذلك إلا لمن أراد أن يطلعه على كنزه .

لما سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ؛ أطلعه على كنزه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰئِمَّا تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {البقرة : ٢٦٠} .

فقد سأل إبراهيم عليه السلام - عن كيفية إحيائه تعالى للموتى ، فجعله تعالى يحيي الموتى بدعائه - عليه السلام - للطير الميت المقطع على الجبال ، فهنا جعل تعالى إبراهيم عليه السلام محلاً لأمره تعالى ، فعلم أنه تعالى هو الحيي للطير على لسانه عليه السلام ، وعلم أنه - عليه السلام - محل لتجلي الحق وظهوره ، ولذا كان اسمه الخليل ، والله در من قال :

قَدْ تَحَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلاً

لذا لما ألقى إبراهيم عليه السلام ، في النار ، وجاءه جبريل ، عليه السلام ، لم يستنجد به ، بل رفض أن يكون واسطة بينه وبين الحق ، في نقل الاستغاثة منه

الكنز الثاني _____ المشيئة والإرادة والأمر

إليه ، بل رفض أن يكون هناك استغاثة أصلاً . واكتفى عليه السلام بعلمه سبحانه وتعالى بحاله .

ومثال آخر لامتنان الحق تعالى على عبده الرباني : أن أثبت تعالى أن لعبده إرادة منفصلة في قوله (فأردت) ، وأثبت أن له إرادة مشتركة في قوله (فأردنا) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ {الكهف : ٧٩} . وقوله تعالى : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ {الكهف : ٨١} .

وحقيقة الأمر أن قولنا بأنها إرادة مشتركة أو منفصلة ، هو على سبيل المجاز ، ولكن لا فعال لما يريد إلا هو تعالى ، وأنه تعالى عندما يثبت ذلك لأحد عبيده فهو على سبيل الخلعة من الملك على عبده ، يخلعها عليه تشريعاً له وإظهاراً لمرتبته بين أقرانه .

قال تعالى لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ {الأحزاب : ٣٧} . هنا أثبت الحق تعالى للمصطفى ﷺ إنعاماً خاصاً على زيد ﷺ زائداً على إنعامه تعالى عليه ، تشريعاً للمصطفى ﷺ وإعلاماً لنا بأنه ﷺ رباني خالص ، ونوراني صافي ، حتى أنه ﷺ أصبح

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

مجلى الحق في الإنعام ، أي أجرى الحق نعمة منه إلى زيد عليه السلام على يد المصطفى عليه السلام . أي أنه تعالى أعطى المصطفى عليه السلام اسم المنعم من أسمائه . بل ورد أنه تعالى أعطى له عليه السلام أسمائه الذاتية كاسمه (النور) في قوله تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ {المائدة : ١٥} .

بل أعطاه اسمه (الله) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} . فهنا أثبت أنهم يبايعونك يا محمد ، وأن محمداً (١) في محل هذه البيعة هو اسم الله الأعظم ، والقوم كانوا يرون يد محمد فوق أيديهم ، فقال لهم الحق أنها يد الله ، أو إن شئت قلت يد محمد من حيث إنه اسم الله ، أو إن شئت قلت يد الله التي يبطش بها محمد من حيث إنه مجلى الله ، كما في الحديث القدسي (٢) . ومثله قوله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ {الأنفال : ١٧} . وقد شرف تعالى أمته عليه السلام ، بأن أعطاهم بعضاً من هذه المرتبة ، لعظم قدره عليه السلام عند ربه ، فقال : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ {الأنفال : ١٧} .

١ - عندما نذكر اسم محمد على أنه اسم الله الأعظم لا نقول عليه السلام .

٢ - سبق تخريجه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٤ .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

والخلاصة أن كل فعل (أي فعل) هو بمشيئته تعالى وإرادته وأمره : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ {الصفات : ٩٦} . ولكن عند ظهور هذا الفعل على يد العبد يتم تقسيمه إلى خير أو شر ، وهنا نقول : إن الله تعالى يرضى الخير ، ولا يرضى الشر . فالفعل من حيث نسبته إلى الله تعالى صفته وترية ، أي ليست له صفة شفعية ، أي لا يوصف بالمتضادات من خير وشر . ودليلنا على ذلك قوله ﷺ فيما صح عنه : ﴿ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ﴾ (١) . فهنا عرج بنا المصطفى ﷺ من الشفعية — التي هي الرضا والسخط ، ثم المعافاة والعقوبة — إلى الوترية في قوله ﷺ : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ﴾ ، والوترية هي ذاته تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَتَرٌ ، يُحِبُّ الْوَتَرَ ﴾ (٢) .

- ١- رواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن وعبد الرزاق والحاكم (وصححه على شرط الشيخين) والطبراني عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والحاكم وصححه عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر ﷺ .
- ٢- رواه مسلم وأحمد والحاكم وصححه والبيهقي والطبراني وابن حبان والبخاري عن أبي هريرة ﷺ . والطبراني في الكبير عن ابن عمر ﷺ . والحاكم والترمذي وحسنه وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن الإمام علي كرم الله وجهه . وأبو يعلى وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود ﷺ . وابن أبي شيبة عن أبي عبيدة ﷺ .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

فحقيقة الأمر أن الله تعالى عين الهادي والمضل ، فهو المتجلي في الصورة المحمدية ، بالهداية ، لحصول السعادة لأهل اليمين . وهو المتجلي في الصورة الإبليسية ، بالغواية ، لحصول الشقاوة لأهل الشمال . وهو المتجلي في صور أهل السعادة ، وصور أهل الشقاوة .

كما أنه المتجلي في الهداية والغواية نفسها ، ولهذا وسعت رحمته كل شيء ؛ لأنه حقيقة كل شيء ، فلا وجود لشيء إلا بوجوده سبحانه وتعالى ؛ فهو حقيقة كل موجود . كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان . ﴿فَإَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} .

هذا على الإطلاق ، وإن شئت قلت هذا من قبيل التحقيق ، أما تفصيل المسألة ، أو بيانها من قبيل التشريع ، فهو أن :

الإرادة : هي ما أراده الله تعالى من عباده .

والأمر : هو ما أمر الله تعالى به عباده ونهاهم عنه .

فالإرادة : هي ما يفعله الله بلا وسائط وهي ما يطلق عليها الأقدار ، لذا فلا راد لقضائه تعالى وإرادته .

والأمر : هو ما يطلب الله من عباده أن يفعلوه بقوله افعل ولا تفعل .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

ولما كان أحد لا يعرف هل وافق أمر الله إرادة فيه أنه يمثل أمره أو يخالفه لهذا صعب على رسول الله ﷺ أمر الله ، واشتد ، حتى قال : ﴿ شَيْئَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا ﴾ (١) . ف "هود" هي السورة التي نزل فيها : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ {هود : ١١٢} . وأخواتها ؛ مما فيه هذه الآية أو معناها ، فالناس من ذلك على خطر .

فالأمر الذي لا يعصيه أي مخلوق هو إرادته تعالى ، لا هو أمره ونهيته ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ {النحل : ٤٠} . وهذا هو الأمر الذي لا يمكن للممكن (المحدث) مخالفته ، لا الأمر بالأفعال والتروك (المنهيات) . فإن أمرت الفعل المأمور به أن يتكون ، في هذا العبد المأمور بالفعل ، تكون . فنقول : هذا عبد طائع امتثل أمري ، وما بيده من ذلك شيء ، فالانقياد إليك أن أكون لك حيث تريد ، لا حيث تأمر ، إلا إن وافق أمرك إرادتك ، فحينئذ أجمع بينهما ، فسبحانك ، أنت القائل لأكرم العالمين لديك : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ

١- رواه الطبراني عن سهل بن سعد ؓ . والترمذي في الشمائل وعبد الرزاق والطبراني وأبو يعلى عن أبي جحيفة ؓ . والطبراني عن عقبة بن عامر ؓ . والبيهقي في الدلائل عن عمر بن الخطاب ؓ . والبزار عن أبي بكر ؓ . وسعيد بن منصور عن أنس ؓ . وأورده الكتاني في نظم المتنائر من الحديث المتواتر عن أربعة عشر راويا .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَانتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿ {الزُّمَر : ١٩} . فما الانقياد إلا لإرادتك . فظاهر الأمر : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التَّحْرِيم : ٦} . والحقيقة من خلف هذا الثناء تنادي : (لا يعصون الله ما أَرَادَ مِنْهُمْ) وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {النحل : ٤٠} .

فالأمر أمران : أمر بواسطة . وأمر بغير واسطة ، ولكن بـ (كُن) .
فالأمر الذي بواسطة — كرسول مثلاً — : (أقم الصلاة) و (آت الزكاة) وغيرها .

أما الأمر بـ (كن) : فهو المعبر عنه بالإرادة ، ولا أطوع من الخلق لأوامر الحق بـ (كُن) . أي لقبول ما أمر الحق بتكوينه فيك في الوقت .
فالإرادة هي ما يطلق عليه الأمر الإلهي ، والأمر الآخر هو الأمر الوارد من الله ولكن على ألسنة الرسل .

فأمر الله ، إذا ورد بغير واسطة ، فلا يُعصى أبداً ، حتى ولو خالف الأمر بالواسطة .

لأن الواسطة مأمورٌ بأن يأمر ، وذلك عن أمر إلهي للواسطة .
وأن المأمور بغير واسطة ، مأمورٌ بأمر إرادي ؛ فكلاهما ، طائعٌ .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

وهو تعالى قد أبلغنا أوامره ونواهيه على لسان رسوله ﷺ ، والرسول معصوم لا يعصي الله . والصحابة رضوان الله عليهم - إن أطاعوا أو عصوا (١) - فقد أطاعوا أو عصوا مبلغهم - وهو رسول الله ﷺ . فمن أطاع أوامر الله التي يبلغها الرسول فقد أطاع الرسول ، ومن عصى فقد عصى الرسول . وكذلك التابعون فإنهم أطاعوا أو عصوا الصحابة ومن بعدهم أطاعوا أو عصوا العلماء . وعلى هذا فإن أمر الله - سبحانه جل وعلا - لا يُعصى ، وهو هنا ملحق بالإرادة .

والحمد لله تعالى أنه أخبرنا عن نفسه أنه : ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ {هود : ١٠٧}

١ - هذا على سبيل الفرض ، ولكن ما نعهده نحن عصيان للصحابة هو مقدر عليهم كي تنزل الأحكام كمن زنى أو شرب الخمر أو سرق منهم ، فلما فعلوا هذه المخالفات نزلت الأحكام . فهم قدرت عليهم المعصية لتتعلم منهم شرع الله ، أما هم في الحقيقة فقد اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ ، فهم كما قال فيهم رسول الله ﷺ فيما رواه عبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر ، والدارقطني في غرائب مالك عن جابر ، وذكره البزار عن عمر ، ومن حديث أنس ، أيضاً ، ورواه القضاعي في مسند الشهاب له عن أبي هريرة ، ورواه أبو ذر الهروي في كتاب السنة عن الضحاك بن مزاحم منقطعاً : ﴿ أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ ﴾ الحديث . وفي الباب بلفظ : ﴿ النُّجُومُ أَمْنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ . وَأَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ . وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ رواه أحمد في مسنده وصحيح مسلم عن أبي موسى .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

وأن إرادته نافذة ، وقدره السابق هو الغالب علينا : ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {يوسف : ٢١} .

- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ {البقرة : ١٨٥} .

أنبأنا تعالى أنه يريد بنا اليسر ، ولا راد لإرادته ، ثم وعدنا بهذا اليسر بعد العسر ، فقال : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ {الطلاق : ٧} . ثم تعطف علينا ، وأنبأنا أنه سيجعل هذا اليسر مع العسر ، وليس بعده ، وأكدها بتكراره لها ، مرتين ، وذلك رحمة بنا ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ ﴾ {الشرح (٥ : ٦)} .

- قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ {الإسراء : ٢٣} . وليس لقضائه تعالى راد ، فلا معبود بحق إلا الله .

- وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات : ٥٦} .

هنا استخدم الحق تعالى أسلوب القصر لتأكيد هذا المعنى ، وهو ما حققه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ {مريم : ٩٣} .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

وإذا أردنا أن نتنزل أكثر بمستوى الكلام ، توضيحًا للأفهام ، فنقول أن الله تعالى يريد للخير والشر . ولا يرضى إلا بالخير . والله تعالى يريد التزام عبده بأوامره ونواهيه ، والأمر : لا يصلح إلا إذا كان المأمور كارهاً لما أُمر به طبعاً .

فلا يُقال : كُل الحلوى والشواء يا جائع ، إلا على وجه التكريم ، لا الأمر . والنهي لا يصلح إلا عن شيء يرغب فيه الإنسان .

فلا يقال : لا تأكل الحجر والشوك ، ولو قيل ؛ فلا يسمى نهيًا .

فلا بد لصحة الأمر بالخير ، والنهي عن الشر ، من نفس راغبة إلى الشر ، وراغبة عن الخير بالطبع .

ومن أراد التدريس ، فهو يريد جهل المتعلم ، حتى يعمل فيه التدريس ، ولكنه لا يرضى بجهله .

وكذا الطبيب ، يريد مرضى الناس ، ليداويهم ، ويظهر فيهم أثر طبه ، ولكن لا يرضى بمرض الناس ، وإلا لما داواهم وعالجهم .

وكذا الخبّاز ، يريد جوع الناس ، لحصول كسبه ومعاشه ، ولكن لا يرضى بجوعهم ، وإلا لما باع الخبز .

ولذا تجدد الأمراء والفرسان ، يريدون أن يكون لسلطانهم مخالف ومعاند ، وإلا لما ظهرت رجولتهم ، لكنهم لا يرضون بالمخالف .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

والله تعالى ، عفو غفور ، شديد العقاب ، وهو يريد أن تصدق عليه هذه الصفات فلا بد من وجود الذنوب ، ليغفرها .

وأمر تعالى بالصلح والإصلاح . ومن لوازم هذا ، وجود الخصومة .

وأمر بالكسب وتحصيل المال ؛ لأنه قال : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ {البقرة : ١٩٥} . ولا يمكن إنفاق المال ، إلا بتحصيل المال . فالأمر بالإنفاق ، هو عين الأمر بالتحصيل .

وتتميمًا للفائدة في هذا الباب ، كان لابد من مناقشة قضية التسيير والتخير ، أو بلفظ آخر قضية القضاء والقدر . وهذه قضية تختلف مشاهد العلماء فيها :

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

أصحاب المشهد الأول :

يقولون : إن القضاء هو حكم الله في الأشياء ، في عينها ، من غير مزيد ، فحكم الله هو الذي أمرنا بالرضى به ، وأما المقضي - المحكوم به - فلا يلزمنا الرضى به ، فلا يلزم الراضي بالقضاء ، الرضى بالمقضي ، وحكم الله في الأشياء على حد علمه بها ، وفيها ، وعَلِمَ الأشياء على ما أعطته المعلومات ، مما هي عليه في نفسها . فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها ، فالحاكم تابع لعين المسألة التي يحكم فيها ، بما تقتضيه ذاتها ، فالمحكوم عليه بما هو فيه ، حاكم على الحاكم أن يحكم عليه بذلك . فكل حاكم ، محكوم عليه ، بما حكم به ، وفيه ، فإن القدر ما جُهِل إلا لشدة ظهوره .

الكنز الثاني _____ المشيئة والإرادة والأمر

أصحاب المشهد الثاني :

قالوا : إن الإنسان مسير . فنازعهم أهل التخيير .
فقال لهم أهل التسيير : علام بنيتم حكمكم عليه بالتخيير ؟
قالوا : لأن الله أعطاه عقلاً يفكر به .
قالوا : رأيتم الأفكار التي تخلق في العقل ، أهي خالقة ؟ أم مخلوقة ؟
قالوا : بل مخلوقة .

قالوا : حتى الأفكار - التي بنيتم عليها قولكم بالتخيير - هي مخلوقة لله تعالى ، فالإنسان إذن مسير . فلم يعذب الله من يعذب ، وقد سيره إليه ؟
قالوا : شيئان لا ثالث لهما : إما أن الله تعالى ظالم . وإما هناك سر لا نعلمه .
وقد اتفق كل العالمين - بما في ذلك الملاحدة - بأنه تعالى ، تنزه عن الظلم ،
فبقى أن يقال أن هناك سرّاً اسمه سر القدر ، لا يعلمه إلا الله .
وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : ﴿ الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ ﴾ (١) .

١ - أخرجه الطبراني من طريق ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ؓ وحسنه ابن حجر في فتح الباري بلفظ : ﴿ الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ ، فَلَا تَكْلُفُوهُ ﴾ . والديلمي عن أنس ؓ بلفظ : ﴿ الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ ، فَلَا تَكْلُفُوا عِلْمَهُ ﴾ . وابن عدي في الكامل عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بلفظ : ﴿ لَا تَكَلَّمُوا فِي الْقَدَرِ فَإِنَّهُ سِرُّ اللَّهِ ﴾ ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر ؓ بلفظ : ﴿ الْقَدَرُ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تُفْشُوا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ سِرَّهُ ﴾ .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

ويوم القيامة ، ينادي الله على أهل النار - قبل دخولها - أَظْلِمْتُمْ شَيْئًا ؟
فيقولون : لا . فلا بد وأنه تعالى قد كشف لهم سر القدر ، فوجدوا أنهم
يستحقون أشد من النار ، راضين عن حكم الله ، متلذذين بكشفهم أنهم
يستحقون أشد من النار ، فالنار بالنسبة لهم أرحم مما يستحقون ، ثم يُعَيَّب
الله عنهم سر القضاء ، فحينئذ يشعرون بالعذاب في النار .

وقد خرَّج ابن عساكر في تاريخه عن الحارث قال : جاء رجل إلى أمير
المؤمنين علي كرم الله وجهه :

فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر .

قال : طريق مظلم ، لا تسلكه .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخبرني عن القدر .

قال : بحر عميق ، لا تلجه .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أخبرني عن القدر .

قال : سر الله قد خفي عليك ، فلا تفشه .

قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر .

قال : يا أيها السائل ؛ إن الله خالقك كما شاء أو كما شئت ؟

الكنز الثاني _____ المشيئة والإرادة والأمر

قال : بل كما شاء .

قال : فيستعملك كما شاء ؟ أو كما شئت ؟

قال : بل كما شاء .

قال : فيبعثك يوم القيامة كما شاء ؟ أو كما شئت ؟

قال : بل كما شاء .

قال : أيها السائل ؛ أأست تسأل الله ربك العافية ؟

قال : بلى .

قال : فمن أي شيء تسأله العافية ؟ أمن البلاء الذي ابتلاك به ؟ أم من

البلاء الذي ابتلاك به غيره ؟

قال : من البلاء الذي ابتلاني به .

قال : يا أيها السائل ؛ تقول لا حول ولا قوة إلا بمن ؟

قال : إلا بالله العلي العظيم .

قال : فتعلم ما في تفسيرها ؟

قال : تعلمني مما علمك يا أمير المؤمنين .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

قال : إن تفسيرها : لا يقدر على طاعة الله ، ولا يكون له قوة في معصية الله ، في الأمرين جميعًا ، إلا بالله . أيها السائل ألك مع الله مشيئة ؟ (أو دون الله مشيئة ؟) فإن قلت : لك دون الله مشيئة ، فقد اكتفيت بها عن مشيئة الله ، وإن زعمت أن لك فوق الله مشيئة ، فقد ادعيت مع الله شركًا في مشيئته . أيها السائل ، إن الله يشج ويداوي ؛ فمنه الدواء ومنه الدواء . أعقلت عن الله أمره ؟

قال : نعم .

قال علي : الآن أسلم أخوكم ، فقوموا ، فصافحوه .

الكنز الثاني _____ المشيئة والإرادة والأمر

أصحاب المشهد الثالث :

قالوا : إن القضاء معاملة بين الله وخلقه ، وهي معاملة بين الشريعة والحقيقة .
كلها آداب مرعية .

- فإن عصي العبد ، فقابل الله تعالى بالشريعة : فقال له يا رب أنا عصيت ، وأنا جنيت ، وأنا اعتديت . قابله ربه بالحقيقة ، فقال : له بل أنا قضيت ، وأنا أغفرها لك . وإذا قابل العبد ربه بالحقيقة : فقال له : بل أنت يا رب قضيت علي المعصية ، قابله الله بالشريعة : فقال له : بل أنت فعلت ، وأنت عصيت ، وسأدخلك النار .
- وكذا إذا فعل العبد طاعة : فقال : يا رب ، أنت يسرت ، وأنت سهلت ، وأنت أعنت . قابله ربه بالشريعة ، فقال : بل أنت عملت ، وأنت أحسنت ، وسأدخلك الجنة .

الكنز الثاني ————— المشيئة والإرادة والأمر

أصحاب المشهد الرابع :

قالوا العباد نوعان : عبد يشاهد نفسه ، وعبد يشاهد أن الله سمعه وبصره
وجميع قواه . فالأول : مُسَيَّر . والثاني : يفعل بالله ، فهو مخير ؛ لأنه يغير
القضاء بالقضاء . والحكم منه ، كالحكم من ربه .

قال سيدي عبد القادر الجيلاني : كل الأولياء لما وصلوا إلى القدر ،
وجدوه مصمّتًا ، فوقفوا ، إلا أنا . فُتِحَتْ لي فيه روزنة ، فوجدت فيها ،
فدافعت أقدار الحق بالحق .

فالرجل هو المنازع للقدر ، لا الموافق له . ولذلك قالوا : (بسم الله) من
العارف كـ (كُنْ) من الله . وأهل الجنة جميعًا يقولون للشيء (كن فيكون) .

الكنز الثاني — التحلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الْبَلَّغُ وَالنُّعْمَةُ وَالنُّبْطُ وَالنُّحُولُ
وَالنُّمْلُ وَالنُّشْكُلُ وَالْحُلُولُ وَالْإِتِّحَادُ
وَالنُّصُورُ وَالنُّكُورُ

اعلم أن :

- الله - تبارك وتعالى - له التحلي .
- والرسول - صلوات الله وسلامه عليهم - لهم التعدد .
- والأولياء - رضي الله عنهم - لهم التبدل والتحول .
- والملائكة الكرام - عليهم السلام - لهم التمثل .
- والجن ، لهم التشكل .
- والجمادات ، لها الحلول والاتحاد .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التجلي :

التجلي للأشياء غير التجلي في الأشياء .

فالله يتجلي لكل قلب ، فمن لاحظ أن هذا تجلياً من الله كان عارفاً .
ومن لاحظ الأسباب ولم يلاحظ الله كان مطروداً ، وإنما منعه من ملاحظة
التجلي الشهوات والشبهات ، وشهوات الجنة أكثر من شهوات الدنيا ،
لكثرة النعيم هنالك .

الله تعالى له التجلي : إما بذاته ، وإما بصفاته .

ذات الله تعالى ذات مطلقة ، لا تحكمها أسماء ولا صفات ، ولا نسب
ولا قوانين . ولم يتجلي الله تعالى بذاته إلا على ذات رسول الله ﷺ .
فكان رسول الله ﷺ المرآة الصافية ، التي تجلت فيها الذات الإلهية في
أكمل ظهور .

أما أسماء وصفاته فقد تجلى بها على جميع خلقه ، فأظهر جماله في
الجميل ، وسمعه وبصره في كل سميع وبصير ، وقدرته في كل قادر ، وعلمه
في كل علم .

من فنى في الله ؛ فإنما فنى في الأسماء والصفات .

أما من فنى في رسول الله ﷺ ؛ كان له نصيب من التجلي الذاتي ، لكمال
ظهور التجلي الذاتي من الله على رسول الله ﷺ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

- فالفناء في رسول الله ﷺ أتم وأكمل من الفناء في الله تعالى .
- يغار رسول الله ﷺ أن يكون واسطة بين الله وخلقه :
- فقال ﷺ للرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت . فقال له رسول ﷺ : ﴿ جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا ، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ .
- وفي رواية قال ﷺ : ﴿ لَيَقُلْ : مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ ﴾ .
- وفي رواية : ﴿ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ ﴾ (١) .
- وقال ﷺ لمن جمع بينه وبين الله تعالى في ضمير واحد : ﴿ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ (٢) .

هذا من حيث التشريع . وله معنى آخر من حيث التحقيق ، وهو أنه ليس من الأدب مع الحق أن يضيفه المتكلم إلا لما أضافه الحق إلى نفسه ، أو أمر به رسوله ، أو من آتاه الله علمًا من لدنه كالخضر المنصوص عليه ، فهذا

١- رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وابن مردويه والطحاوي وأبو نعيم والبخاري في الأدب المفرد والخطيب في تاريخ بغداد عن ابن عباس ؓ .

٢- رواه مسلم في صحيحه (واللفظ له) وأبو داود والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والأدب عن عدي بن حاتم ؓ : أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعَصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ . قُلْ : وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى ﴾ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

من ذلك الباب . فلما كان هذا الخطيب عريًّا من العلم اللدني ، ولم يكن رسول الله ﷺ تقدم إليه في إباحة مثل هذا ؛ لهذا ذمه ، وقال : ﴿ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ ﴾ . فإنه كان ينبغي له ألا يجمع بين الحق والخلق في ضمير واحد ، إلا بإذن إلهي من رسول ، أو علم لدني ، ولم يكن واحد من هذين الأمرين عنده ، فلهذا ذمه رسول الله ﷺ .

وقد قال رسول الله ﷺ في حديث خطبة خطبها ، فذكر الله تعالى فيها ، وذكر نفسه ﷺ ، ثم جمع بين ربه تعالى وبين نفسه ﷺ فيها في ضمير واحد ، فقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ ﴾ (١) . وهو ﷺ قال تعالى فيه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤) { النجم : (٣ - ٤) } .

١ - رواه الطبراني في الكبير والحافظ ابن حجر في فتح الباري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خِطْبَةِ الْحَاجَةِ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ ، وَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ . ومثاله ما صح عن النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في السنن والشعب وأبو يعلى وابن حبان عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، .. ﴾ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

وكذا قال الخضر : ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ {الكهف : ٨١} . فجمع بينه وبين الحق في ضمير واحد ، ثم قال : ﴿ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِیْ ﴾ {الكهف : ٨٢} يعني جميع ما فعله من الأعمال ، وجميع ما قاله من الأقوال في العبارة لموسى عليه السلام عن ذلك . فافهم .

- ويغار الله تعالى أن يعرفه أحد إلا إن دخل عليه من باب رسول الله ﷺ ، فمنع أن يدخل عليه داخل إلا من بابه وعن طريقه ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ فَإَتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ {آل عمران : ٣١} . فخبأ حبه ورضاه في رضا رسول الله ﷺ . فقد صح أنه ﷺ دعا لمن قدم له معروفاً ، فقال : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ ﴾ (١) .

١ - رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في أخبار أصبهان عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال ذات يوم لغلام من الأنصار : ناولني نعلي ، فقال الغلام : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، اتركني حتى أجعلهما أنا في رجليك ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ هَذَا يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ ﴾ . وروى البزار والبيهقي في الشعب والخطيب البغدادي في الأخلاق عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في حلقة فأراد القيام ، فقام غلام ، فتناول نعله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أَرَدْتَ رِضَا رَبِّكَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ ﴾ فكان لذلك الغلام شأن في المدينة حتى استشهد . وروى البيهقي في الشعب عن ثابت البناني ، قال : كان النبي ﷺ يوماً يتوضأ ، ولباء النبي ﷺ غلام ، فمَجَّ النبي ﷺ ، فتلقى الغلام بحجة النبي ﷺ فشربها ، فقال النبي ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ ﴾ . مَجَّ : لَفَظَ الماء ونحوه من فمه وطرحه وألقاه . وروى ابن عساكر عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال : بعث عثمان رضي الله عنه =

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

فالثابت أنه فَعَلَ المعروف بالنبي ﷺ ، والحاصل أنه ﷺ نسب هذه الترضية لله تعالى ، وخبأ طاعته تعالى في طاعة رسوله ﷺ ، فقال : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} . فما أعظمها من نسبة بين الله ورسوله ﷺ ، تعجز عن إدركها العقول .

حتى الأنبياء عليهم السلام ، ليس لهم دخول على الله إلا من بابه ﷺ في الدنيا ويوم القيامة :

— ففي الدنيا صح عنه ﷺ أنه قال : ﴿ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ﴾ (١) .

= بناقة صهباء إلى النبي ﷺ فقال : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ ﴾ . وروى ابن عساكر عن ليث بن أبي سليم قال : أول من خبص الخبيص في الإسلام عثمان خلط بين العسل والنقي ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، فلم يصادفه ، فلما جاء رسول الله ﷺ وضعته بين يديه ﷺ ، فاستطابه ، فقال : من بعث بهذا ؟ قالت : عثمان . قالت : فرفع يديه إلى السماء ، وقال : ﴿ اللَّهُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ يَتَرَضَّاكَ ، فَارْضَ عَنْهُ ﴾ . النقي : الخبز الحواري الأبيض .

١- روى أحمد في مسنده وأبو يعلى والبيهقي في السنن والشعب والسجزي في الإبانة عن جابر ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ . فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ﴾ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

- وفي الآخرة ، صح عنه عليه السلام أنه قال : ﴿ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لَوَائِي وَلَا فَخْرٌ ﴾ (١) .

لذا فقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ {البقرة : ٢٥٣} .
﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ {الإسراء : ٥٥} .

حتى إن الله تعالى لم يقبل من أهل الكتاب أن يؤمنوا بالمصطفى عليه السلام لقول أنبيائهم ، وطلب منهم أن يجددوا إيمانهم به عليه السلام ، عن قوله هو عليه السلام ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴾ {النساء : ١٣٦} .

● قال رسول الله عليه السلام : ﴿ الْمُؤْمِنُ مِرَّةُ الْمُؤْمِنِ ﴾ (٢) . ولنا في هذا

الحديث وجهان :

١- رواه أحمد وأبو يعلى عن ابن عباس عليه السلام . ورواه أحمد والترمذي (وصححه) وابن ماجه وابن جرير وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عليه السلام . ورواه ابن عساكر عن أنس عليه السلام . ورواه أبو يعلى والطبراني عن عبد الله بن سلام عليه السلام . وفيه عمرو بن عثمان الكلابي وثقه ابن حبان على ضعفه ، وبقيّة رجاله ثقات . ورواه البزار عن أبي هريرة عليه السلام وإسناده جيد . ورواه الحاكم في مستدرّكه عن عبادة بن الصامت عليه السلام ، وصححه على شرط الشيخين .

٢- رواه الطبراني في الأوسط والضياء في المختارة وحسنه السيوطي والبزار والقضاعي في مسند الشهاب وابن عدي عن أنس بن مالك عليه السلام . ورواه البخاري في الأدب وأبو داود والبيهقي في سننه وفي الشعب والديلمي في مسند الفردوس والعسكري وابن جرير عن أبي هريرة عليه السلام وقال العراقي : إسناده حسن .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

أولهما : أن يكون المراد بالمؤمن الأول : الأنبياء ، صلى الله عليهم وسلم ، والأولياء ، وكافة المقربين . فهم مؤمنون إيماناً خاصاً . وأن يكون المراد بالثاني : المؤمنون على الإطلاق ، إيماناً عاماً ، ويكون معنى الحديث أن الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم – الذين ظهرت فيهم صفات الكمالات الإلهية – مرأى لنا ، وأمثال ، لقول كل منهم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ {الكهف : ١١٠ ، فصلت : ٦} فالمثلية واقعة بالنشأة والفطرة . وهذا تحريض منهم لنا ، على طلب نيل ما يمكن نيله ، من تلك السعادة الكبرى ، والولاية العظمى ، التي لم ينسد بابها إلى يوم القيامة .

فينبغي للعبد أن يطلب من الله نيل كل سعادة – ما خلا النبوة التشريعية والرسالة – فإنه إذا طلب شيئاً ، وجدَّ ، وعمل فيما يصلح لذلك ، لا بد أن ينال مطلوبه . كما ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، أنه قال : (من طلب شيئاً ، وجدَّ ، وجدَّ) . فاطلب ، ولا تقنع بمطلب دون مطلب .

فقد قال بعض المشايخ : (لا تقنع من الله ولو أعطاك مكالمة موسى ، ونُبُوَّة عيسى ، وخُلَّة إبراهيم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) . يريد أن عند الله تبارك وتعالى ما وراء ذلك كله .

فاطلب منه ما هو أهله ، ولو أعطاك مكالمة موسى – على أن ذلك محال –

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

لأن مراتب الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لا يصل إليها أحد غيرهم ، فلو هنا لامتناع حصولها ، ولكنها على سبيل الفرض ، كما يفرض الحال . والله الموفق ، لا رب غيره .

وثانيهما : أن يكون المراد بالمؤمن الأول : الحق تعالى لأن المؤمن من أسمائه تعالى والمراد بالمؤمن الثاني : العبد . فالحق تبارك وتعالى مرآة عبده . أو أن يكون المراد بالمؤمن الأول : العبد ، وبالمؤمن الثاني : الحق . فيكون العبد مرآة الحق تعالى .

إذ في الحقيقة إنه تعالى : مرآتك ، وأنت مرآته .

— فمن حيث كونك مرآته ، يرى هو صورته فيك ، فتكون أنت عنده عين ذاته ، وصفاتك وأسمائك عين أسمائه وصفاته . وجميع ما صدر منك ، عين ما صدر منه .

وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} . وقال : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ {الأنفال : ١٧} . ومن ثم قال ﷺ : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ (١) .

١- رواه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة ؓ . ولفظ : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ رواه مسلم عن أبي هريرة ؓ ، وعبد بن حميد عن أبي سعيد ؓ . ورواه عبد بن حميد وأحمد والدارقطني في الصفات والطبراني في السنة وابن عساكر عن أبي هريرة ؓ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتحدد والتبدل والتمثل والتشكل

- ومن حيث كون الحق مرآة لك ، ترى أنت ذاتك متجلية بأسمائه وصفاته . بل تتحقق أن ذاتك هي عين المعبر عنه بذاته . فأنت هو ، وهو أنت .

- ولا تزال تتحقق صورتك في مرآة كماله ، حتى تتجلي ذاتك بجميع ما لها من تلك المحاسن الظاهرة ، في تلك المرآة المشهودة على التمام والكمال .

ولما كان التجلي على قدر صفاء المرآة وصقلها ، وعلى قدر قابلية المتلقي ، ولما كانت أصفى مرآة هي مرآة رسول الله ﷺ ، وأكبر قابلية هي قابليته ﷺ ، لذا اختص ﷺ بالتجلي الذاتي ، وما سواه ليس له إلا التجلي الأسمائي والصفائي .

فرسول الله ﷺ هو المرآة التي ظهرت فيها الذات المقدسة ، في أكمل تجلٍ يتجلاه تعالى على مخلوق . فارجع بقطرتك إلى بحره ﷺ ، فتغنى في رسول الله ﷺ ، فتستقبل بقابلية بحره ﷺ ، وليس بقابلية قطرتك ، فيتحقق لك هذا المقام ، وتحظى بتجلي الله الذاتي .

من نظر في المرآة لا يرى جرم المرآة ، ولكن يرى صورة الواقف أمامها ، ويجهد نفسه أن يرى جرم المرآة ، فلا يستطيع . فمن نظر إلى رسول الله ﷺ - الذي هو المرآة - فإنه لا يرى رسول الله ﷺ ، ولكن يرى التجلي الإلهي

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

فيه ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، ولم يرى الله تعالى فيه ، فإن مرآة قلبه تحتاج أن تصقل .

فرسول الله ﷺ ليس واسطة بين الله وبين خلقه ، ولكنه ﷺ مرآة صافية ، يرى الخلق فيها رهم ، ولا يرون سواه فيها ، حتى إنهم لا يرون رسول الله ﷺ ؛ لأن أحدا لا يرى جرم المرآة عند ظهور الصورة فيها .

أما تجلي الأسماء والصفات ؛ فيتجلى الله تعالى بها على جميع خلقه ، وله تعالى الظهور في أي صورة شاء منها ، فالأسماء والصفات لها التعدد .

وهذا فارق كبير بين أن تقول : إن الله تعالى تجلى على ذات أحد ، وبين أن تقول : إن الله تعالى حلّ بذاته في ذات أحد من خلقه .

قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ﴾ ؟ .

قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : ﴿ فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ﴾ ؟ .

قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : ﴿ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ . يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ . فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَّ إِبْرَاهِيمُ - فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ ﴿ ١ ﴾ .

ولا يتجلى الله تعالى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لاثنين ، ولا يرد منه - بمعنى واحد - كلمتان . بل لكل تجلٍّ منه صورة ، ولكل عبد - عند ظهوره له - صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه .

١ - أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والترمذي وابن ماجه والنسائي وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والدارقطني في الرؤية والبيهقي في السنن والأسماء والصفات وابن بطة العكبري والطبراني والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى والحميدي وابن حبان والطيالسي وابن بشران في أماليه وابن منده وابن خزيمة وابن أبي عاصم في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه . والبخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد والحاكم وصححه وأبو عوانة وابن بطة العكبري والطيالسي وابن راهويه وابن منده وابن خزيمة والدارقطني وابن أبي عاصم في السنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

قال تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ﴾ {الحديد : ٣} . إذن ، فهو الوجود كله . و(ال) تتضمن عدم مشاركة أحد له في هذه الصفات . فإذا قلت : (ظاهر) ، يقتضي ظهور غيره ، أما إذا قلت : (الظاهر) يعني عدم ظهور غيره .

فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، الظاهر له ، ولك . الباطن عنك ، لا ، عنه . الأول بك . الآخر ، إذا كان عينك .

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۖ﴾ {الإسراء : ٢٣} . ولا راد لقضاء الله على عباده أن يعبدوا سواه ، أو يروا سواه ، فتجلى لهم في صورة كل شيء . فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره ، وفرط قربه . فلو تباعد عنا لرأيناه . ولكنه لو فارقنا ، لانعدمنا . ففي أسرع من طرفة عين ، نُحْتَكَس منه ، إن نظرنا إلى غيره . لا ، لضعفه ، ولكن لضعفنا .

قال تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۖ﴾ {البقرة : ١١٥} . فالله تعالى هو الظاهر في كل مظهر .

فالظهور شهادة ، والبطون غيب . فما غاب من العالم عن العالم : فهو غيب ، والقلب من عالم الغيب . وما شاهد العالم من العالم : فهو شهادة ، وكله لله شهادة وظاهر .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي .

قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ .

قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ .

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي .

قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ .

قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي .

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي .

قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ .

قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ

عِنْدِي ﴿ (١) .

١ - أخرجه مسلم في صحيحه والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات والبخاري في الأدب وابن حبان في صحيحه وابن راهويه والطبراني في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتحدد والتبدل والتمثل والتشكل

فإذا ذكر العبد ربه : فالله تعالى هو الذكر والمذكور والذاكر نفسه بعبده .
والمجموع ، هو العبد .

قال الله تعالى في الحديث القدسي : ﴿ أَتْنِي عَلَى عَبْدِي ﴾ (١) : أي أثنيت
على نفسي في صورة عبدي .

فالله له الظهور في المظاهر ، تجلياً ، لا ذاتياً .

إذ أن ذاته تعالى جلت عن التقييد في الأغراض ، بل لها الإطلاق التام .
كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة .

١ - هو جزء من الحديث القدسي الشهير الذي رواه مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وأبو
داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد والبيهقي وعبد الرزاق والحميدي والدارقطني وابن
حبان وابن خزيمة عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ
الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ .

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حِجْدِي عَبْدِي .

وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَتْنِي عَلَى عَبْدِي .

وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قَالَ : حِجْدِي عَبْدِي . (وَقَالَ مَرَّةً : فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي) .

فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ تَعَبَّدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ ﴾ قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ .

فَإِذَا قَالَ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قَالَ :
هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ﴿ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التعدد :

الأنبياء الكرام لهم التعدد في الصور ، كما حدث في الإسراء والمعراج ، حيث رأى رسول الله ﷺ بعض الأنبياء في طريقه إلى بيت المقدس (١) ، ثم رآهم كلهم في بيت المقدس وصلى بهم (٢) ، ثم رأى بعضهم في السماوات (٣) ، فهذا تعدد في الظهور الروحاني للأنبياء عليهم السلام ، لا إنهم كانوا في الأرض ثم رفعوا إلى السماء بل ساعة كانوا في الأرض ، كانوا أيضاً في السماء ، بغير انتقال بين مكان ومكان ؛ لأنه ﷺ رأى أرواحهم ، أما أجسادهم فهي في أماكنها .

أما رسول الله ، ﷺ ، فله وحده خصوصية ، أنه إلهي كله ، فليس فيه شيء

١- أخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن مردويه والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء وأحمد وأبو يعلى وابن مردويه ، عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِي بِي عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَتَانِي يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ ﴾ .

٢- حديث صلاته بالأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام أخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس ﷺ وأخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن أبي ليلى ﷺ ، وأخرجه ابن سعد وابن عساكر عن عبد الله بن عمر ، وابن عباس ، والسيدة أم سلمة والسيدة عائشة والسيدة أم هانئ رضي الله عنهم أجمعين .

٣- حديث : ﴿ ثُمَّ عَرَجَ بَنَّا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ﴾ . رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس ﷺ . وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن مالك ابن صعصعة ﷺ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

لغير الله تعالى ، روحًا وجسمًا ، خلقًا وخلقًا . فروحه ﷺ وجسمه جميعًا خرجا من الإطلاق :

- ألا ترى طهارة دمه وبوله وغائطه ﷺ (١) .

١- قال القاضي عياض في الباب الثاني من كتاب {الشفاء بتعريف حقوق المصطفى} :
حكى بعض المعتننين بأخباره وشماله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة ﷺ . وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرًا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئًا من الأذى ! . فقال : ﴿ يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء ﴾ وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورًا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحديثين منه ﷺ وهو قول بعض أصحاب الشافعي . وشاهد هذا أنه ﷺ لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب . ومنه حديث علي ﷺ غَسَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَذَهَبَتْ أَنْظَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا فَقُلْتُ طُبْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا قَالَ وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ حِينَ قَبِلَ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ . ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومضه إياه وتسويغه ﷺ ذلك له ، وقوله له لن تصيبه النار ، ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حمامته فقال ﷺ : ﴿ وَبِئْسَ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَبِئْسَ لَهُمْ مِنْكَ ﴾ . ولم ينكر عليه . وقد روى نحوه من هذا عنه في امرأة شربت بوله ﷺ فقال لها : ﴿ لَنْ تَشْتَكِي بِطَنِّكَ أَبَدًا ﴾ ولم يأمر واحدًا منهم بغسل فم ، ولا نكاه عن عودة . وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلمًا والبخاري إخراجهم في الصحيح ، واسم هذه المرأة بركة ، واختلف في نسبها ، وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم النبي ﷺ ، قالت : وكان لرسول الله ﷺ قدح من عيدان يوضع تحت سريره ، يبول فيه من الليل ، فبال فيه ليلة ، ثم افتقده ، فلم يجد فيه شيئًا ، فسأل بركة عنه ، فقالت : قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم ، روى حديثها ابن جريج وغيره .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

- ألا ترى أن الله تعالى وصفه ﷺ في القرآن بأنه نور ، حيث قال تعالى عنه : ﴿ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ بجسمه أو بروحه ، فهو بنص الآية نور كله ، وورد عنه ﷺ أنه كان يقول في دعائه : ﴿ وَاجْعَلْنِي نُورًا ﴾ (١) .

لذا فقد صح أنه كان ، ﷺ ، لا يرى له ظل ، وهو يسير في اليوم المشمس (٢) .

فرسول الله ﷺ أسري به بروحه وجسمه ، ومع ذلك فلو دخل الداخل حيث فراشه ﷺ لراه نائماً مكانه ، ففي اللحظة التي هو فيها ﷺ في بيت المقدس ، أو في السماوات ، روحاً وجسماً ، هو أيضاً في فراشه ، روحاً وجسماً .

١- أخرجه مسلم عن ابن عباس ؓ برواية النضر عن شعبة . كذا رواه أحمد في مسنده وأبو عوانة والطيالسي عن ابن عباس ؓ .

٢- روى عبد الرزاق بسنده عن ابن جريج وهو ثقة عن نافع وهو ثقة ، عن ابن عباس ؓ قال : ﴿ لَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ظِلٌّ . وَلَمْ يَقُمْ مَعَ شَمْسٍ قَطٍ إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ . وَلَمْ يَقُمْ مَعَ سَرَاةٍ قَطٍ إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ السَّرَاةِ ﴾ وهذا الحديث إسناده صحيح . وقد ساق هذا الحديث الحافظ السيوطي في كتابه : { الخصائص الكبرى } بلفظ : ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ ﴾ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

وصح عنه عليه السلام أنه قال : ﴿ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ﴾ (١) .
وليس هناك ما يمنع أن يراه يقظة ، أكثر من شخص ، في أكثر من مكان ،
في الوقت الواحد .

وقال عليه السلام : ﴿ مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ ، إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي ، حَتَّى أَرُدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ ﴾ (٢) . أرأيت إذا ما سلم عليه شخصان في وقت واحد ،
أو مائة في وقت واحد ، أو أمته كلها في نفس الوقت . ولو علمت أنه لا
يخلو وقت من مصل ومسلم عليه ، فهو حي بيننا بحياة دائمة ، بفضل الله
وكرمه علينا ! .

وصح عنه عليه السلام كذلك أنه قال : ﴿ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ
كُنْتُمْ ﴾ (٣) .

١- رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد والبيهقي في الدلائل والطبراني في مسند الشاميين
واللالكائي وابن المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه . والطبراني في الكبير عن مالك بن عبد الله
الختنمي رضي الله عنه .

٢- رواه أبو داود وأحمد في مسنده والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير والأوسط عن
أبي هريرة رضي الله عنه . وقال ابن حجر في الفتح : رجاله ثقات .

٣- رواه أبو داود وأحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب وفي كتاب حياة
الأنبياء في قبورهم عن أبي هريرة رضي الله عنه . وابن أبي شيبه عن علي بن الحسين رضي الله عنه . وابن أبي
شيبه وعبد الرزاق والطبراني في الكبير والأوسط والبخاري عن الحسن بن علي رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

وصح أيضا عنه عليه السلام أنه قال : ﴿ مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ؛ قَالَ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهِ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلٍ ﴾ (١) .

وقال عليه السلام : ﴿ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ . فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا . ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ . فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ ؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ﴾ (٢) .

بنص الحديث السابق : إذا سألنا الله شيئاً لنبينا عليه السلام ، فإننا لنا مثله بتأمين الملائكة ، وعلى هذا فإننا إذا سألناه تعالى ، له عليه السلام ، الوسيلة ، يكون لنا مثلها ، وهي لا تنبغي إلا لواحد ، فلا يستقيم المعنى إلا إذا تعدد الواحد! .
وصح عنه عليه السلام أنه قال في بعض الصحابة رجالاً ونساءً : ﴿ هَذَا مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ ﴾ (٣) . وهذا الوصف معناه في التحقيق : أن صاحبه اتبع النبي عليه السلام اتباعاً

١- رواه مسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في السنن والشعب والطبراني في الكبير وعبد بن حميد والبخاري في الأدب عن أم الدرداء رضي الله عنها عن زوجها عليه السلام .

٢- رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي عن ابن عمرو عليه السلام .
٣- قالها رسول الله عليه السلام في حق جلييب عليه السلام . فيما رواه مسلم في صحيحه وأحمد والبيهقي عن أبي برزة عليه السلام . وقالها عليه السلام في حق من لم يعن الظالمين على ظلمهم . فيما رواه عنه الترمذي وحسنه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي والحاكم عن كعب بن عجرة عليه السلام . =

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

دقيقاً ، حتى انطبع على النموذج المحمدي ، فأصبح صورة من الرسول ﷺ في مرآة الحق ، كل يرى نفسه فيه عين الآخر ، أي أنه أصبح تعدداً للرسول ﷺ . ولو كان هذا الحديث مقتصرًا فقط على الاتباع ، دون الطبع على النموذج ، لاقتصر الحديث على كلمة (مَنِّي) ولم يزد (وَأَنَا مِنْهُ) ! .

= وأحمد عن أبي سعيد الخدري ؓ . وأحمد عن النعمان بن بشير ؓ . وأحمد والطبراني في الكبير عن حذيفة ؓ . وقالها ؓ في حق سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فيما رواه الترمذي وحسنه وأحمد والحاكم عن عمران بن حصين ؓ . وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير عن حبشي بن جنادة ؓ . وأحمد والحاكم والطبراني في الكبير عن ابن عباس ؓ . وأحمد عن يحيى بن آدم السلولي ؓ . وأحمد عن بريدة ؓ . وقالها ؓ في حق العباس ؓ . فيما رواه الترمذي وصححه وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير عن ابن عباس ؓ . وقالها ؓ في حق الحسين بن علي ؓ . فيما رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وأحمد وابن أبي شيبة والحاكم وصححه وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في المعرفة عن يعلى بن مرة ؓ . وقالها ؓ في حق درة بنت أبي لهب رضي الله عنها . فيما رواه أحمد (وقال الهيثمي : رجاله ثقات) والطحاوي في مشكل الآثار عن درة رضي الله عنها .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الشيخ :

لابد لكمال الاقتداء بالشيخ ، أن يرى المرید صفاته ﷺ متمثلة في شيخه ، وإلا فما كان هذا الشيخ صالحاً للاقتداء به . بل وأكثر من ذلك ، أن تنضح هذه الصفات على صورة الشيخ ، فيشابه الرسول ﷺ في الصورة ، مصداقاً للحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ، فَإِنِّي أُرَى فِي كُلِّ صُورَةٍ ﴾ (١) . ومعلوم أن رؤيا المنام كرؤيا اليقظة في حقه ﷺ .

قال أحد العارفين : اجتمعت به ﷺ ، وهو في صورة شيخني ، ولست أعلم أنه النبي ﷺ ، وكنت أعلم أنه الشيخ . وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة .

فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه ، وإذا رآه في صورة ما من الصور ، وعلم أنه محمد ﷺ ، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية . ألا تراه ﷺ ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه ، فقال الشبلي لتلميذه : أشهد أني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف ، فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور ، وهو كما يرى النائم فلاناً في صورة فلان .

١ - رواه ابن أبي عاصم وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأورده الحافظ ابن حجر في الفتح والحافظ

جلال الدين السيوطي في الديباج على مسلم .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم . لكن بين النوم والكشف فرق .

وهو أن الصورة التي يرى فيها محمداً ﷺ ، في النوم ، لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية ؛ لأن عالم المثال يقع التعبير فيه ، فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة .

بخلاف الكشف ، فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين ، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ ، لما أعطاك الكشف أن محمد ﷺ متصور بتلك الصورة ، فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها من قبل ، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا رسول الله ﷺ ، أن يكون ذلك مرادي .

بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حي ، يتجلى في هذه الصورة .

وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، وهو (الإنسان الكامل) ليعلي شأنهم ، ويقيم مآلهم . فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

قال رسول الله ﷺ : ﴿مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي﴾ (١) .

أي أن هيئته ﷺ لا يستطيع الشيطان التلبس بها ، وأن الله تعالى لم يمكنه من ذلك ، وهذا من عظيم رحمته تعالى بنا ، وهذا من بركة قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

١- رواه مسلم في صحيحه وابن ماجه وأحمد في مسنده والطبراني في الأوسط وابن راهويه عن أبي هريرة ؓ . والترمذي وصححه والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود ؓ . وابن ماجه وابن أبي شيبة عن أبي سعيد ؓ . وابن ماجه والطبراني في الكبير عن ابن عباس ؓ . وأحمد وأبو يعلى عن أنس ؓ . والطبراني في الكبير والأوسط عن عبد الله ابن عمرو ؓ . ولفظ الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة ؓ : ﴿لَا يَتَمَثَّلُنِي﴾ . ولفظ البخاري عن أبي سعيد ؓ : ﴿لَا يَتَكَوَّنُنِي﴾ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التبدل والتحول :

أما كَمَل الأولياء ، فلهم التبدل والظهور بنفس صورهم ، في أماكن شتى . فمنهم من يستطيع الظهور في صورتين في مكانين مختلفين ، ومنهم في أكثر من ذلك في وقت واحد . ففي قوة الإنسان - من حيث روحه - التمثل في غير صورته في عالم الشهادة ، فيظهر في أي صورة شاء من صور بني آدم أمثاله ، أو في صورة حيوان أو في صورة نبات أو جماد . وكذا يظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة شاء . وهذا كله في الدنيا ، ويفعل ذلك كله بالهمة ، فروحه لها كمال الإطلاق في هذا الظهور في أكثر من صورة إلى آلاف الصور في آنٍ واحدٍ ، وتستطيع روحه تدبر كل هذه الصور .

أما التحول : فإن الله تعالى ما لا يحصى من الصفات والأسماء .

فالولي يظهر لخلق الله في الصفة التي يكسوها الله تعالى إياه ، فمرة يكسوه بالكرم ، ومرة بالغنى ، ومرة بالجمال ، ومرة بالصبر ، ومرة بالحب ، وغيرها كثير . وهذا يكون في الدنيا للولي بحكم خرق العادة . أما في الآخرة ، فلكل بني آدم الظهور في أي صورة شاؤوا في الجنة . حيث إن نشأة الإنسان هنالك تعطي هذا . إذ إن كل أهل الجنة أولياء الله تعالى .

الكنز الثاني ————— التجلّي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

فقد صح عن رسوله الله ﷺ أنه قال : ﴿ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا مَا فِيهَا شِرَاءٌ وَلَا بَيْعٌ ، إِلَّا الصُّورَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَإِذَا اشْتَهَى الرَّجُلُ صُورَةً دَخَلَ فِيهَا ﴾ (١) . فالرجل يدخل في الصورة التي تعجبه ، ويرجع بها إلى أهله ، فيرون أنه ازداد جمالاً وبهاءً .

١ - رواه الترمذي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في البعث وهناد في الزهد وأبو نعيم في صفة الجنة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن علي كرم الله وجهه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التمثل :

أما الملائكة الكرام فلهم التمثل ، وقوتهم في التمثل محدودة بصورة واحدة ، والمملك لا تحكم عليه الصورة :

• قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ { مريم : ١٧ }

فعندما كان جبريل عليه السلام على شكل رجل ، يكلم الصديقة مريم عليها السلام ، فهو في نفس اللحظة في السماء بستمائة جناح .

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما جاءت رسل الله لوطاً عليه السلام

ظن أنهم ضيفان لقومه ، فأدناهم حتى أقعدهم قريباً ، وجاء بيناته وهن ثلاثة ، فأقعدهن بين ضيفانه وبين قومه ، فجاءه قومه يهرعون إليه ،

فلما رأهم : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا

تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۚ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ { ٧٨ } قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي

بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ { ٧٩ } قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ

شَدِيدٍ ﴾ { ٨٠ } { هود : ٧٨ - ٨٠ } . فالتفت إليه جبريل عليه السلام فقال :

﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ { هود : ٨١ } (١) .

١ - أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الكنز الثاني ————— التجلّي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

- حدثنا السنة عن تمثل جبريل عليه السلام في صورة الصحابي : دحية الكلبي رضي الله عنه ، فعن أبي عثمان رضي الله عنه قال : أُنبئتُ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ ثُمَّ قَامَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ : ﴿ مَنْ هَذَا ﴾ أَوْ كَمَا قَالَ . قَالَ : قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ائِمَّ اللَّهُ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُ جِبْرِيلَ (١) .

- قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ۝١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

١ - بهذا اللفظ رواه البخاري ومسلم والطبراني والبيهقي في الدلائل وأبو يعلى والبخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه . والأحاديث الواردة في تمثل جبريل عليه السلام في صورة الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه كثيرة نذكر منها : ما روي عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ ، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا . قُلْتُ : رَأَيْتُكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتِ تُكَلِّمُهُ . قَالَ : ﴿ وَرَأَيْتِ ؟ ﴾ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : ﴿ ذَاكَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ﴾ . قَالَتْ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ ، فَنِعَمَ الصَّاحِبُ وَنِعَمَ الدَّخِيلُ . قَالَ سُفْيَانُ : الدَّخِيلُ الضَّيْفُ . رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في المستدرک وصححه وأبو نعيم من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وابن أبي شيبه وابن سعد عن عامر الشعبي رضي الله عنه ، وعبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنه ، والطبراني عن أنس رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

إِلَّا بُشِّرَى لَكُمْ وَلِنُطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ^١ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٤﴾ {آل عمران : (١٢٤ - ١٢٦)} . فقد تمثلت الملائكة في صورة الجند المقاتلين يوم بدر ، وكانوا يقاتلون الكفار ويأسروهم مع المسلمين .

— قال أبو بردة بن نيار رضي الله عنه : جئت يوم بدر بثلاثة رؤس ، فوضعتهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلت : أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث ، فإني رأيت رجلاً طويلاً قتله ، فأخذت رأسه . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ذَاكَ فَلَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ (١) .

— وكان السائب بن أبي حبيش رضي الله عنه يحدث في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ . فيقول : لما انهزمت قريش انهزمت معها ، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر : من أسر هذا ؟ فليس يزعم أحد أنه أسرني ، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يَا ابْنَ أَبِي حَبِيشٍ ! مَنْ أَسْرَكَ ؟ ﴾ . فقلت :

١ - رواه البيهقي في الدلائل والواقدي وابن كثير .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أَسْرَكَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، اذْهَبْ يَا ابْنَ عَوْفٍ بِأَسِيرِكَ ﴾ ، فذهب بي عبد الرحمن بن عوف ، فقال السائب : مازالت تلك الكلمة أحفظها (١) .

وقرن عبيد بن أوس بن مالك الأنصاري بين مجموعة من الأسرى يوم بدر ، فيهم عقيل بن أبي طالب يومئذٍ ، والعباس ، ونوفل ، وقرنهم في حبل ، وأتى بهم رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِمْ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ . وسماه رسول الله ﷺ مقرئاً (٢) .

• وفي الصحيح أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ في صورة رجل ، سائلاً ومستفسراً عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فلما رحل قال النبي ﷺ : ﴿ إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (٣) .

١ - رواه البيهقي في الدلائل والواقدي في مغازيه وابن كثير في السيرة وفي البداية والنهاية .

٢ - رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن سعد في طبقاته وابن الأثير في أسد الغابة .

٣ - رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي شيبه وعبد الرزاق والبيهقي في السنن والشعب والدلائل وابن خزيمة عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

بصيرة :

رأينا أن جبريل عليه السلام ظهر في صورة الحس ، رجلاً معروفاً ، كظهوره في صورة دحية رضي الله عنه ، وفي وقت رجلاً غير معروف ، ولم يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة ، في صورة غيره من الملائكة . فجبريل لا يظهر في الملائكة ، وفي عالم الغيب ، في صورة ميكائيل أو إسرافيل ، ولهذا قال تعالى عنه : ﴿ وَمِمَّا مِتْنَا آيَآ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ {الصفّات : ١٦٤} .

وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر ، يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته ، فيظهر زيد في صورة عمر . وليس للملك ذلك في عالم الغيب ، وكما ظهر جبريل عليه السلام في صورة البشر ، يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة ، أي صورة ملك شاء ، وأعجب من هذا ؛ أن بعض الرجال من المحبين دخل على شيخ ، فتكلم له الشيخ في المحبة ، وقد رآه بعض الحاضرين قد دخل عليه ، فما زال ذلك المحب يدوب في نفسه حسّاً ، من كلام ذلك الشيخ في المحبة ، لقوة تحقق ذلك المحب ، إلى أن رجع بين يدي ذلك الشيخ كفا من ماء ، فدخل عليه رجال ، فسألوه عن ذلك المحب : أين هو ، فإننا ما رأيناه خرج ؟ فقال : هذا الماء هو ذلك المحب الذي بين يدي ، فنظروا إلى ماء قليل على الحصى بين يدي الشيخ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

فانظر كيف رجع إلى أصله الذي خُلِق منه . فيا ليت شعري أين تلك الأجزاء (١) ؟ .

١- الحب على قدر التجلي والتجلي على قدر المعرفة وكل من ذاب فيها وظهرت عليه أحكامها فتلك المحبة الطبيعية . ومحبة العارفين لا أثر لها في الشاهد فإن المعرفة تمحو آثارها لسر تعطيه لا يعرفه إلا العارفون . فالحب العارف حي لا يموت روح مجرد لا خبر للطبيعة بما يحمله من المحبة ، حبه إلهي وشوقه رباني مؤيد باسمه القدوس عن تأثير الكلام المحسوس برهان ذلك هذا الذي ذاب حتى صار ماء لو لم يكن ذا حب ما كان هذا حاله فقد كان محباً ولم يذب حتى سمع كلام الشيخ فتار كامن حبه فكان منه ما كان فحب لا حكم له في الحب حتى يثبته كلام متكلم حب طبيعي؛ لأن الطبيعة هي التي تقبل الاستحالة والإثارة ، إذ قد كان موصوفاً بالحب قبل كلام الشيخ ، ولم يذب هذا الذوبان الذي صيره ماءً بعدما كان عظماً ولحماً وعصباً فلو كان إلهي الحب ما أثرت فيه كلمات الحروف ولا هزت روحانيته هذه الظروف فاستحي من دعواه في الحب وقام في قلبه نار الحياء فما زال يحلله إلى أن صار كما حكى فلا يلحق التغيير في الأعيان والتنقل في أطوار الأكوان إلا صاحب الحب الطبيعي وهذا هو الفرقان بين الحب الروحاني الإلهي وبين الحب الطبيعي . والحب الروحاني وسط بين الحب الإلهي والطبيعي فيما هو إلهي يبقى عينه وبما هو طبيعي يتغير الحال عليه ولا يفنيه فالفناء أبداً من جهة الحب الطبيعي وبقاء العين من جانب الحب الإلهي . جبريل لما كان حبه روحانياً وهو روح وله وجه إلى الطبيعة من حيث جسميته لأن الأجسام الطبيعية الخارجة عن العناصر لا تستحيل بخلاف الأجسام العنصرية فإنها تستحيل لأنها عن أصول مستحيلة والطبيعة لا تستحيل في نفسها لأن الحقائق لا تنقلب أعيانها فغشي على جبريل ولم يذب عين جوهر جسمه كما ذاب صاحب الحكاية فغشي عليه من حيث ما فيه من حب الطبيعة وبقي العين منه من حيث حبه الإلهي . فالحب الإلهي روح بلا جسم والحب الطبيعي جسم بلا روح والحب الروحاني ذو جسم وروح . فليس للمحب الطبيعي العنصري روح يحفظه من الاستحالة فلماذا يؤثر الكلام في المحبة في الحب الطبيعي ، ولا يؤثر في الحب بالحب الإلهي ، ويؤثر بعض تأثير في الحب بالحب الروحاني .

الكنز الثاني ————— التجلي والتحدد والتبدل والتمثل والتشكل

فاعلم أن الإنسان في هذا الطريق ، يُعطى من القوة ، ما يظهر به في هذه النشأة ، كما يظهر في النشأة الآخرة ، التي يظهر فيها على أي صورة شاء ، فإن هذا في أصل هذه الصورة الدنيوية ، ولكن لا يصل كل واحد إلى معرفة هذا الأصل ، وهو قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ {الانفطار : ٧} ، وهي هذه النشأة الظاهرة ، ثم قال : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ {الانفطار : ٨} ، أي هذه النشأة المسواة المعدلة ، قابلة لجميع الصور . فيجليه الله تعالى في أي صورة شاء ، فأعلمنا أن هذه النشأة تعطي القبول لأي صورة كانت ، وكذلك قوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ {المؤمنون : ١٤} ، بعد الفراغ من تسوية صورة الإنسان الظاهر ، فعين له صورة من الصور التي في قوته وتركيبه أن يقبلها ، فإذا علم الإنسان بالكشف الإلهي أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور ، فيتعمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر ، فإذا فتح له فيه ، ظهر في عالم الشهادة ، في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء ، وظهر في عالم الغيب والملكوت ، في أي صورة من صورها شاء .

غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب ، أن الإنسان إذا تروحن ، وظهر للروحانيين في عالم الغيب ، يعرفون أنه جسم تروحن . والناس في عالم

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الشهادة ، إذا أبصروا روحاً تجسد ، لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداء ، حتى يُعَرَّفُوا بذلك ، كما قال ﷺ حين دخل عليه الروح الأمين ، في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، قال الراوي : لا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وما لها من الشروط ، فلما فرغ من سؤاله ، قام ينصرف ، فلما غاب ، قال النبي ﷺ لأصحابه : ﴿ أَتَدْرُونَ مَنْ الرَّجُلُ ؟ ﴾ وفي رواية : ﴿ رُدُّوا عَلَى الرَّجُلِ ﴾ ، فالتُّمِسَ ، فلم يجدوه . فقال ﷺ : ﴿ إِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (١) .

غير أن بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج ، من غيره من الناس ، أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها ، وما كل أحد يعرف ذلك ، ويفرقون أيضاً بين الصورة الروحانية المعنوية المتجسدة ، وبين الصورة الممثلة من داخل ، بعلامات يعرفونها . والعامة لا تعرف ذلك . والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن ، وظهر فيهم بصورة أحدهم ، أو بصورة غريبة لم يروا مثلها ، فيزيدون على عامة البشر بهذا ، وينقصهم أن يظهروا

١ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي وابن خزيمة وابن منده والآنباري والفريابي والمروزي واللالكائي وابن حبان في الثقات وابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب ؓ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

في عالمهم على صور بعضهم ، كما نظهر في عالمنا ، إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا ، فسبحان العليم الحكيم ، مقدر الأشياء ، والقادر عليها ، لا إله إلا هو العليم القدير .

واعلم أن أصل هذا الأمر الذي ذكرته في هذه المسألة ، إنما هو من العلم الإلهي في التجلي الإلهي ، فمن هناك ظهر هذا الأمر في عالم الغيب والشهادة ، إذ كان العالم بجملته ، والإنسان بنسخته ، والمملك بقوته ، على صورة مقام التجلي في الصور المختلفة ، ولا يعرف حقيقة تلك الصور ، التي يقع التحول فيها على الحقيقة ، إلا من له مقام التحول في أي صورة شاء ، وإن لم يظهر بها ، وليس ذلك المقام إلا للعبد المحض الخالص ، فإنه لا يعطيه مقام العبودية أن يتشبه بشيء من صفات سيده جملة واحدة ، حتى إنه يبلغ من قوته في التحقق بالعبودية أنه يفنى وينسى ، ويستهلك عن معرفة القوة التي هو عليها من التحول في الصور ، بحيث أن لا يعرف ذلك من نفسه ، تسليماً لمقام سيده ، إذ وصف نفسه بذلك ، ولولا هذا الأصل الإلهي ، وإن الحق له هذا ، وهو في نفسه عليه ، ما صح أن تكون هذه الحقيقة في العالم ، إذ يستحيل أن يكون في العالم أمر لا يستند إلى حقيقة إلهية ، في صورته التي يكون عليها ذلك الأمر . ولو كان ، لكان في الوجود من هو خارج عن علم الله ، فإنه ما علم الأشياء إلا من علمه بنفسه ، ونفسه علمه ، ونحن في علمه كالصور في الهباء .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

لو كنت تعلم يا فتى من أنت ، علمت من هو .
إذ لا يعلم الله ، إلا من يعلم نفسه .
قال ﷺ : من عرف نفسه عرف ربه .
فالحق علّمك من نفسه ، وأعلمك أنك لا تعرفه إلا من نفسك .
فمن تفتن لهذا المعنى ، علم ما نقول ، وما نومئ إليه .
فأما حديث التجلي يوم القيامة ، فإننا نورده إن شاء الله تعالى بلفظه كما
ورد في صحيح مسلم : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
﴿ نَعَمْ ، هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ ؟ .
وَهَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟ ﴾ .
قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : ﴿ مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا . إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذِنَ مُؤَدِّنٌ
لِيَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ
الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقُطُونَ فِي النَّارِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ
اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ ، وَغَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ ، فَيَقَالُ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَ ؟ . قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ . فَيَقَالُ : كَذَبْتُمْ ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ . فَمَاذَا تَبْغُونَ ؟ . قَالُوا : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا . فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ
أَلَّا تَرُدُّونَ ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهُمَا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ،
فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ . ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى ، فَيَقَالُ لَهُمْ : مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ .
قَالُوا : كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ . فَيَقَالُ لَهُمْ : كَذَبْتُمْ ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ
وَلَا وَلَدٍ . فَيَقَالُ لَهُمْ : مَاذَا تَبْغُونَ ؟ . فَيَقُولُونَ : عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا . قَالَ :
فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمَا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا
بَعْضًا ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ . حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ
وَفَاجِرٍ ، أَنَا هُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا ،
قَالَ : فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ . قَالُوا : يَا رَبَّنَا فَارْقِنَا النَّاسَ
فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا مَّا كُنَّا إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ :
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا) حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ
يَنْقَلِبَ . فَيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا ؟ . فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيُكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ؛ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ ، وَلَا
يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً ؛ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً ، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ . ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا
أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا... ﴿ الحديث إلى آخره .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التشكُّل :

أما الجن ؛ فله التشكل في الصور ، كالحيات والكلاب وغيرها ، في عالم الحس والشهادة ، وليس له التشكل في عالم الملكوت والغيب . وليس في قدرة الجن التشكل إلا في صورة واحدة . وعند تشكله فيها ، تحكم عليه هذه الصورة ، أي عند ضربه أو قتله ، وهو متشكل على صورة حية مثلاً ، فإنه يموت .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الحلول والاتحاد :

أما الجمادات فلها الحلول والاتحاد في بعضها البعض ، لتكوين مواد أخرى .
فتتحد الذرات لتكوين الجزيئات . وتحل المواد بعضها في بعض كذوبان
السكر في الماء بالتسخين والتقليب .

وليس لله حلول ولا اتحاد ، فهو لا يحل في أحد من خلقه ، ولا يتحد به .
ولكن للخلق أن يفنوا عن أنفسهم وعن الكون ، فيشاهدون الله تعالى
مشاهدة تملأ عليهم نفوسهم ، فيغيب عنهم الكون كله ، لإشراق نور الحق
في أرواحهم .

وهذا ما تسميه الطائفة بوحدة الشهود : أي لا يشهدون إلا واحداً .
أما ما يُسميه البعض بوحدة الوجود : بمعنى أن الله تعالى يتحد بخلقه أو
يحل فيهم فهو كفر بواح .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ
نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الْأَيْمَنَ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِئَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ {القصص : (٢٩ - ٣٠)} .

فالله تعالى يتجلى لخلقه في الصور ، ويتجلى في خلقه لخلقه بأسماء وصفات ،
ولكن بغير حلول ولا اتحاد .

أما ذاته ، فكانت ولم تنزل في عماء . فقد كان الله ولا شيء غيره وهو الآن
على ما عليه كان . فالتجلي ليس هو عين المتجلي . يعني ليس هو ذاته .

أما التعدد والتبدل والتمثل والتشكل والحلول والاتحاد فالتعدد والمتبدل
والمتمثل والمتشكل والحال والمتحد هو بذاته هنا ، وبذاته هناك .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التصوُّر :

هو تصور المعنويات في صور حسية ملموسة :

- كتصور الأعمال الحسنة في صورة إنسان أبيض حسن الصورة ، وتصور الأعمال السيئة في صورة إنسان أسود سييء الصورة .
 - أو تصور الأعمال الحسنة في صورة رجل حسن الثياب طيب الرائحة ، وتصور الأعمال السيئة في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح .
 - وتصور الصلاة التامة في صورة مسفرة ، وتصور الصلاة المنقوصة في صورة سوداء مظلمة .
 - وتفتح أبواب السماء لمن قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً .
 - وإتيان سورتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان .
 - وتصور الفاتحة في صورة امرأة حسنة وضيئة تخدم أحد أولياء الله .
 - وتصور الإيمان والحكمة في صورة حسية تملأ طستاً من ذهب .
 - وتصور السكينة في صورة حسية في تابوت ، أو تنزلها على من يقرأ القرآن .
- وغير ذلك كثير .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

التكوُّن :

هو انفعال الأشياء ، أو تكونها ، لقول أو فعل الأنبياء أو ورثتهم من الأولياء ، صلوات الله عليهم أجمعين .

- روى كعب بن مالك رضي الله عنه أنه في غزوة تبوك رأى رسول الله ﷺ رجلاً مبيّضاً يزول به السراب ، فقال ﷺ : ﴿ كُنْ أَبَا حَيْثَمَةَ ﴾ . فإذا هو أبو حَيْثَمَةَ الأنصاري رضي الله عنه (١) .

- في غزوة تبوك مضى رسول الله ﷺ سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان . فيقول : ﴿ دعوهُ ، فإن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ﴾ حتى قيل : يا رسول الله قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : ﴿ دعوهُ ، فإن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ﴾ وتلوم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ؛ أخذ متاعه فحمّله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً . ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلِهِ ، فنظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول

١ - رواه مسلم في صحيحه وأحمد وعبد الرزاق والطبراني في الكبير وابن حبان والطيالسي وابن عساكر عن كعب بن مالك رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

الله إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
﴿ كُنْ أَبَا ذَرٍّ ﴾ . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ . يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ،
وَيُيَعَّثُ وَحْدَهُ ﴾ (١) .

في هاتين الروایتين تكون أبو خيشمة وأبو ذر رضي الله عنهما عن كلمة (كن) من
النبي ﷺ .

- عن أبي رافع رضي الله عنه قال : دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا شاة مطبوخة
فقال : ﴿ يَا أَبَا رَافِعٍ : نَاوِلْنِي الذَّرَاعَ ﴾ فناولته ، فأكلها ، ثم قال :
﴿ نَاوِلْنِي الذَّرَاعَ ﴾ فناولته ، فأكلها ، ثم قال : ﴿ نَاوِلْنِي الذَّرَاعَ ﴾
فقلت : يا رسول الله : هل للشاة إلا ذراعان ؟ . فقال رسول الله ﷺ :
﴿ لَوْ سَكَتَ ؛ لَأَعْطَيْتَنِي أَذْرُعًا مَا دَعَوْتُهَا ﴾ .
وفي لفظ ، قال ﷺ : ﴿ أَمَا إِنَّكَ لَوِ ابْتَغَيْتَهُ ، لَوَجَدْتَهُ ﴾ .
وفي لفظ : ﴿ لَوْ نَاوَلْتَنِي ، مَا زِلْتَ تُنَاوِلْنِي ﴾ .
وفي لفظ : ﴿ لَوْ سَكَتَ ؛ لَوَجَدْتَهَا مَا دَعَوْتُكَ ﴾ .

١ - رواه الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وابن هشام في سيرته عن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

وفي لفظ : ﴿لَوْ التَّمَسَّتْهُ ، لَوَجَدْتُهُ﴾ .

وفي رواية : ﴿لَوْ سَكَتَ ؛ مَا زِلْتُ أُنَاوِلُ مِنْهَا ذِرَاعًا مَا دَعَوْتُ بِهِ﴾ (١) .

في هذه الرواية أخبر رسول الله ﷺ عن تكون أذرع للشاة ، لمجرد دعوته ﷺ بها ، بشرط عدم الاعتراض ، والذي عبر ﷺ عنه بلفظ : (لو سكت) أو (لو ابتغيته) أو (لو التمسته) . وسؤال أبي رافع هنا : هل للشاة إلا ذراعان ؟ . ورد رسول الله ﷺ عليه ، يذكركنا بقول الخضر لموسى عليه السلام : ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ {الكهف : ٧٠} .

في هذه القصة يعلمنا رسول الله أن طاعته واجبة ولو كان فيها مخالفة لحكم العقل لأنه ﷺ لا يتكلم إلا بالله : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ {النجم : (٣ - ٤)} .

• عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكََةً ، وَأَنْتُمْ تَعُدُّوْنَهَا تَخْوِيفًا . كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَقَلَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ : ﴿اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ﴾ فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ

١ - رواه أحمد والنسائي والترمذي في الشمائل وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه .

الكنز الثاني ————— التجلي والتحدد والتبدل والتمثل والتشكل

قَالَ : ﴿ حَيَّ عَلَى الطَّهَّورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَتُ مِنْ اللَّهِ ﴾ فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ
يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١) .

هنا تكوّن ماء عند إدخال رسول الله ﷺ يده في الإناء .
ولكن هنا لطيفة : وهي شدة أدب رسول الله ﷺ مع الله تعالى ، في أنه ﷺ
ستر تكوّن الماء منه ، بأن بارك في الماء القليل ، فكثّره ، ولم يخلقه من عدم .
مع أن الله تعالى أعطاه القدرة على ذلك . كذلك ما ورد من إطعامه ﷺ
الجيش كله من صاع (٢) . فكان ﷺ يتعمد وجود أصل ، يبارك فيه ،
ويكثّره ، وهذا الأدب من كمال صفاته ﷺ التي مدحه بها جل وعلا :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ {القلم : ٤} .

والنبي ليس له همة ، لفنائته فيه تعالى ، والعارف له همة .

يقول الحلاج رحمه الله : (بسم الله منك ، بمنزلة كن منه) .
فبسم الله من العارف تنفعل لها العوالم العلوية والسفلية ، ويتكون له بها
ما شاء .

-
- ١ - رواه البخاري في صحيحه والنسائي وابن مردويه وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الدلائل
والدارمي وأبو يعلى وابن خزيمة والبخاري وابن أبي عمير عن عبد الله بن مسعود رحمه الله .
٢ - حديث إطعامه ﷺ الجيش من صاع أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والحاكم في
المستدرک وصححه عن جابر بن عبد الله ﷺ .

الكنز الثاني ————— التجلي والتعدد والتبدل والتمثل والتشكل

في قصة آصف مع عرش بلقيس ما يدل على الإعدام والتكوين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ {النمل : ٤٠} .

انتقال العرش لآصف ﷺ كان إعدامًا له في سبأ ، وتكوينًا له عند سليمان ﷺ من حيث لا يشعر أحد بذلك ، إلا من عَرَفَهُ الله ذلك ، وهو قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ {ق : ١٥} . ولا يمضي عليهم وقت لا يرون فيه ما هم راؤون له ، إذ كان زمان عدمه (أي عدم العرش من مكانه) هو عين زمان وجوده عند سليمان ﷺ من تجديد الخلق مع الأنفاس ، ولا علم لأحد بهذا القدر ، بل الإنسان لا يشعر من نفسه أنه في كل نفس لا يكون ، ثم يكون ؛ لاقتضاء اتصال التجليات ، لتكوينه بعد العدم ، في زمان واحد ، من غير بعدية ولا قبلية زمانية .

فما قطع العرش مسافة ، ولا زويت له الأرض ، ولا خرقها ! .

حياة الكون

جلت عظمة الله أن يعصيه عاصٍ ، أو ينساه ناسٍ . ولكن أودع روح أمره في أسرار الكائنات ، فذكره الناسي بنسيانه ، وأطاعه العاصي بعصيانه ؛ لأن الناسي والعاصي هما شيء ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ {الإسراء : ٤٤} .

الوجود كله حي ، ناطق بتعظيم الحق سبحانه . ولكن الحياة منها ما ظهر للحس ، ومنها ما لم يظهر . فما لم يظهر بالعادة ، ظهر بخرق العادة (١) . فالكل حي ، ناطق بتسبيح الله وحمده ، ولا يوجد في العالم شيء لا نفس له ، ولا حياة ولا عبادة ، سواء كان هذا الشيء مما يحدثه الإنسان ، من

١- فقد أورد القرطبي والنيسابوري في تفسيريهما والقاضي عياض في كتاب الشفا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ﴿ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَهُ ﴾ . وفي رواية أخرى بلفظ : ﴿ لَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ ﴾ . أوردها البخاري في صحيحه وأحمد والدارمي وأبو يعلى والبخاري والترمذي (وصححه) وأبو داود وأحمد والطبراني وابن عساكر وعبد بن حميد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وأخرج نحوه أبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

الأشكال والحروف ، أو مما يحدثها الحيوان أو غيرها .

فما أن تظهر صورة في الكون ، إلا ويُلْبَسها الله تعالى روحاً من أمره ، ويتعرف إليها من حينه . فالحياة في الأشياء فيض من حياة الحق عليها ، ولولا حياتها ما سمعت قوله : (كن) بالكلام الذي يليق بجلاله ، ف (كانت) .

وإن كان الله تعالى قد أخذ بأسماعنا ، عن تسبيح الجماد والنبات والحيوان . كما أخذ بأبصارنا عن إدراك حياة الجماد والنبات ، إلا من خرق الله له العادة من الأنبياء وبعض الأولياء ، فإنه كشف لهم عن حياة كل شيء .

أما في الآخرة ؛ فالكل يرى الحياة الإلهية ، سارية في كل شيء ، ويسمع تسبيح كل شيء ، ولذا سميت الدار الآخرة بـ (الحيوان) وهي المبالغة في الحياة ، كما (الموتان) مبالغة في الموت .

واعلم أن الموت نفسه ، هو تجلٍّ من اسمه الحي .

فالموت هو الحياة عينها ، فليس هناك موت ، بل حياة بعد حياة .

فالموت وهم كبير ، ظاهره نهاية الحياة ، وباطنه بداية لهذه الحياة في صورتها الدائمة الواسعة المطلقة . فالموت هو الذي ينقل الإنسان من دار الفناء إلى دار البقاء .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

الموت محدث مخلوق ، والحياة أيضاً مخلوقة نهايتها الموت : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ {الملك : ٢} .

والحيوان حياة لا نهاية لها : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ {العنكبوت : ٦٤} .
الدار الآخرة : دار الحيوان ، لحياتها .
فأهلها يتنعمون فيها حسناً ومعنى .

والجنة أيضاً ، أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها ؛ فالكل حيوان .
فإن الدار الآخرة ، دار ناطقة ، ظاهرة الحياة ، ثابتة العين ، غير زائلة . فما ترى فيها إلا حيّاً ناطقاً ، ينكشف ذلك للعموم والخصوص . فأبوابها ، وجدرانها ، وساحاتها ، ومأواها ، وثمارها ، وأشجارها ، وكل شيء فيها حي ، متحدث مستمع .

ولذا كانت ﴿الدُّنْيَا جِيفَةً﴾ (١) كما قال ﷺ . وجيفة يعني : ميتة .

١- أورده أبو الشيخ عن سيدنا علي كرم الله وجهه في تفسيره موقوفاً . وروى الديلمي في الفردوس عن الإمام علي كرم الله وجهه مرفوعاً بلفظ : " مثل الدنيا كمثـل جيفة " . ولفظ : " أوحى الله عز وجل إلى داود مثل الدنيا كمثـل جيفة اجتمعت عليها كلاب يجرونها . أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجر معهم ؟ " وعند أبي نعيم عن يوسف بن أسباط قال : قال الإمام علي كرم الله وجهه : " الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب " .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

واعلم أن أسماء الله تعالى تتجدد عليك في كل لحظة آلاف آلاف المرات ،
فيتتابع عليك اسماء المحيي المميت ، فيحييك الله ويميتك في زمن قصير
وبسرعة متناهية تكاد لا تشعر بذلك التجدد والتتابع من سرعته .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ {ق : ١٥} .

فهم لا يعرفون أنهم في كل لحظة في خلق جديد .

فما يرونه في اللحظة الأولى ، ما هو عين ما يرونه في اللحظة الثانية .

فأنتم في خلق جديد ، بين وجود وانقضاء .

فالأحوال متجددة مع الأنفاس على الأعيان .

ولكنها لا تكاد تدرك ، لسرعة الأمر فيها .

أحوال تتجدد ، على عين لا تتعدد ، وبأحكام لا تنفذ .

والحياة كمال ، والموت نقص . ومن كمال الوجود ؛ وجود النقص فيه .

قال تعالى : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ {طه : ٥٠} . أي حتى :

النقص أعطاه خلقه ، فله كمال يليق به ، وللإنسان كمال يقبله ، وعين ما

يراه العقل كمالاً ، هو النقص عند الله ، وكل نقص إنما هو في مرتبته لا

ينقصه شيء ، وما كل إنسان قَبِلَ الكمال ، وما عداه فكامل في مرتبته ، لا

الكنز الثاني ————— حياة الكون

ينقصه شيء ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ﴾ (١) . فما ظهر في العالم نقص ، إلا في هذا الإنسان ، وذلك لأنه مجموع حقائق العالم ، وهو المختصر الوجيز ، والعالم هو المطول البسيط .

أما العقل ، فقد جاء بنصف معرفة الله ، وهو التنزيه ، وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى ، وجاء الشارع يخبر عن الله ، بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالته ، فجاء بالأمرين في آية واحدة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ تنزيه . ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ {الشورى : ١١} تشبيه . وهذا غاية الكمال الإلهي .

وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه ، فحارت الحواس والخيال ، وخاطب العقول بالتشبيه ، فحارت العقول ، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والخيال ، وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال .

فلم يعلمه سواه ، ولا شاهده غيره

فلم يحيطوا به علماً ، ولا رأوا له عيناً

ما هي إلا آثار تُشْهَد وجناب يُقصد

ورتبة تُحمد وإله منزّه ومشبه يُعبد

هذا هو الكمال الإلهي

١ - أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن جرير والطبراني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

وبقى الإنسان متوسط الحال ، في حيرته بين تشبيه وتنزيه .

فبالإنسان كمل العالم ، وما كمل الإنسان بالعالم .

ولما انحصرت في الإنسان حقائق العالم ، بما هو إنسان ، لم يتميز عن العالم بصغر حجمه خاصة ، وبقيت له رتبة كماله ، فجميع الموجودات قبلت كمالها ، والإنسان انقسم إلى قسمين :

- قسم لم يقبل كماله .

- وقسم قبل الكمال ، فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها ، وجميع أسمائها ، فأقام هذا القسم خليفة ، وكساه حلة الحيرة فيه ، فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده ، فقالت ما قالت ، فلما أخبرهم تعالى بحقيقته ، وما أودع فيه ، حارت فيه الملائكة فقالت : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ {البقرة : ٣٢} . والحائر ، لا علم له ، فأعطاه علم الأسماء الإلهية ، التي لم تسبحه الملائكة بها ، ولا قدسته .

وغدا يحمد رسول الله ﷺ ، بمحامد لا يعلمها الآن ، فإن محامد الله بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت ، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده ، الأهلية للخلافة في العالم ، فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها ، وحكم بالحق والعدل ، والله هو الحق والعدل .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

فإن أعطي التحكم في العالم فهي الخلافة ، فإن شاء تحكم وظهر ، كعبد القادر الجيلاني رحمه الله ، وإن شاء سلم ، وترك التصرف لربه في عبادته ، كأبي السعود الشبلي رحمه الله ، إلا أن يقترن بأمر إلهي كداود عليه السلام ، فلا سبيل إلى رد أمر الله ، وكعثمان رضي الله عنه الذي لم يخلع ثوب الخلافة عن عنقه حتى قتل ، لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فكل من اقترن بتحكمه أمر إلهي ، وجب عليه الظهور به ، ولا يزال مؤيداً ، ومن لم يقتن به أمر إلهي ، فهو مخير ، إن شاء ظهر به ، وإن شاء لم يظهر ، وترك الظهور أولى ، فتلحق الأولياء الأنبياء بالخلافة خاصة ، ولا يلحقونهم في الرسالة والنبوة ، فإن بابها مسدود .

فالكمال المطلوب ، الذي خلق له الإنسان ، إنما هو الخلافة ، فأخذها آدم عليه السلام بحكم العناية الإلهية ، لا بشيء آخر ، وهو مقام أخص من الرسالة ، فما كل رسول خليفة ، فدرجة الرسالة هي التبليغ خاصة : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ ﴾ {المائدة : ٩٩ . النور : ٥٤ . العنكبوت : ١٨} .

- فإذا أعطي الرسول التحكم فيمن أرسل إليهم ، بالسيف والقتال ، والضر والنفع ، فهذا الرسول الخليفة ، وهذه درجة الخلافة والاستخلاف ، فما كل من أرسل حُكِّم .
- فإن ظهر بالتحكم من غير نبوة ، فهو مَلِك وليس بخليفة .

الكنز الثاني ————— حياة الكون

- فلا يكون خليفة إلا من استخلفه الحق تعالى على عباده ، فأصبح له الكمال ، وظهر بسلطان الأسماء الإلهية ، فيعطي ويمنع ، ويعز ويذل ، ويحيي ويميت ، ويضر وينفع ، وكان مع ذلك نبياً أو مرسلاً .
- أما الأولياء أصحاب التصريف ، فهم خلفاء عن الأنبياء ، لا عن الله .

وهناك فرق بين الولي والخليفة :

- فالولي يُنَصَّر ولا ينتَصِر ، والخليفة يُنَصَّر وينتَصِر .
- ويقول الخليفة لأزيدن على السبعين في وقت ، ويدعو على رعل وذكوان في وقت ، فالخليفة تختلف عليه الأحوال ، والولي لا تختلف .
- الخليفة قد يتهم ، والولي لا يتهم .
- فأداب الأولياء : غضب في المغضوب عليهم ، لا رجعة فيه . ورضا في المرضي عنهم : لا رجعة فيه .
- والخلفاء آدابهم : الرضى في المرضي عنهم . والعفو وقتاً ، والغضب وقتاً ، في المغضوب عليهم .
- الموت له الزوال ، والحياة لها الثبوت ، والله تعالى هو الثابت الحي .
- فاسلك بحياتك إلى حياته ، ثم اسلك بحياته في حياته .
- فاسلك إليه ، ثم اسلك به ، ثم اسلك فيه .
- ولا تنظر إلى الموت . إنك إن نظرت إلى الموت ، جعلته بينك وبين الحي

الكنز الثاني ————— حياة الكون

الذي لا يموت . واعلم أن اسم الله تعالى المميت يزول حكمه من العالم بعد ذبح يحيى عليه السلام للموت بين الجنة والنار (١) ، ولا يبقى الحكم إلا لاسمه الحي . فاثبت في الحياة ، ثم لا تنظر إليها أيضًا .

فكن بالحي ، لا بالحياة .

فالأسماء نسبتها إلى الذات نسبة واحدة ، لا تفاضل بينها .

فالشيء لا يفضل نفسه .

فلا يقال المحيي أفضل من المميت ، ولا المميت أفضل من المحيي .

ولا يقال الخلة أفضل من الكلام ، ولا الكلام أفضل من كذا ،.....

بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة .

والقدرة تعلقت بما لا يتناهى من الممكنات .

ولكن العالم هو الذي يفضل بعضه بعضًا ، لذا فهو موضع التفاضل .

١- حديث : ﴿ يُجَاءُ بِالْمُوتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُذَبِّحُ ﴾ رواه البخاري ومسلم والطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه البخاري ومسلم والترمذي وصححه وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وأخرجه عبد بن حميد وابن ماجه والحاكم وصححه والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الشرع

أحوال العبد تتجدد ، ولا يعتبر فيها إلا الحال الحاضر . إذ الماضي قد انقضى . احفظ وقتك الفرد (١) ، واضرب عن الماضي والمستقبل .

١- عن حفظ الوقت الفرد ، قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم : (حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها) أي أن الحقوق التي في الأوقات فهي الطاعة التي عين الله تعالى لها وقتاً أمكن قضاؤها وإن كان يسمى مفترطاً لكن بعض الشر أهون من بعض وأما حقوق الأوقات بأنفسها فهي مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا﴾ {الطلاق : ٧} . وهذه الحقوق إذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها إذ الوقت الثاني له حق مخصوص لا يسع غيره فما من لحظة إلا ويجب عليك فيها أن تكون عاملاً لله مشغولاً فيها بما يوصلك إلى قربه ورضاه وهذا معنى قوله : (إذ ما من وقت يرد إلا والله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه) أي ما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلا والله عليك فيها حق جديد من ذكر أو فكرة أو نظرة أو من مراقبة أو مشاهدة أو من خدمة حسية أو معنوية قد علم كل أناس مشربهم وأمر أكيد من التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية فإن غفلت عن الحق الجديد أو الأمر الأكيد في وقت ما ودخل الوقت الثاني فقد فاتك القضاء وندمت على ما مضى . فكيف يمكن أن تقضي الوقت الثاني حق غيره وهو أيضاً له حق يجب عليك أن تؤديه فيه فلا يمكنك أن تقضي حق الوقت الأول في الوقت الثاني وأنت لم تقض حق الله فيه أي في الوقت الثاني . =

الكنز الثاني _____ الشرع

امح عقلك ، فلا تعمل برأيه ، بل برأي الشرع ، فلا تتحرك إلا بالشرع . من خرج عن نفسه للشرع ، كان في ذاته معدومًا ، وبالنبى موجودًا . ومن كان بالنبى موجودًا ، كان بالله . ومن كان بالله ، كان كاملاً . ومن كان كاملاً ، كان سعيدًا : ﴿ اَلَّذِيْ اَوَّلٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ ﴾ {الأحزاب : ٦} .

والشرع علم وعمل ، فإذا لم تعلم إلا بالشارع ، ولم تعمل إلا بالشرع ، فقد استولى النبي ﷺ على جملتك ، وذهبت عنك ، وثبت به ، فقد صح

= والحاصل أن كل وقت له حق فإن فات فلا قضاء له ، ولذلك قالوا في الأدب : التصوف هو ضبط الأنفاس وحفظ الحواس . والأنفاس هي دقائق الساعات وضبطها هي عمارتها بأنواع الطاعات فإذا ضيع حقوق الساعات خرج عن أدب التصوف والله تعالى أعلم . قال الشيخ أبو العباس ؑ أوقات العبد أربعة لا خامس لها نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية وله على عبده في كل وقت منها حق ففي النعمة الشكر وفي البلية الصبر وفي الطاعة شهود المنة وفي المعصية اللجأ والإنابة وطلب الإقالة بالمعنى وفي هذا المعنى قال ﷺ : ﴿ مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَابْتِغَىٰ فَصَبَرَ ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ ﴾ ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا لَهُ ؟ قَالَ : ﴿ اَوَّلَيْكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ {الأنعام : ٨٢} . أي : لهم الأمن يوم القيامة وهم مهتدون في الدنيا ، وقيل لهم الأمن في الدارين وهم مهتدون إلى حضرته في الكونين . واعلم أن القيام بحقوق الأوقات على التمام يكاد أن يكون متعذرًا في حق البشر قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ {الأنعام : ٩١ ، الزمر : ٦٧} . أي : ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته . فلهذا كانت حقوق الوقات لا يمكن قضاؤها لأنها راجعة لحفظ الأنفاس والخطرات . وقد أعني الرجال حفظها في حال الصلاة فكيف في كل وقت ، لكن قد يختص برحمته من يشاء ، قال بعضهم : منذ عشرين سنة ما خطر على قلبي شيء سوى الله تعالى .

الكنز الثاني _____ الشرع

عنه عليه السلام أنه قال : ﴿ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَعِزَّتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِزَّتِهِ ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ ﴾ (١) .

من صحب شيخًا ، ولم يملكه نفسه ، قيل لتلك الصحبة : (صحبة تبرك) .
ومن ملكه نفسه ، قيل له (مريد) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ {آل عمران : ٣١} .

فالنبي عليه السلام حبيب الله ومحبوه

والمؤمن لا ذات له إلا بالنبي عليه السلام

فالمؤمن حبيب الله ومحبوه

النبي عليه السلام نور الله

والمؤمن لا ينظر إلا بالنبي عليه السلام

فالمؤمن ينظر بنور الله ! .

١ - بهذا اللفظ رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عليه السلام . وفي الباب ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وابن ماجه وأحمد وعبد الرزاق والحاكم والبيهقي والدارمي وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان وعبد بن حميد وابن منده .

نصرة رسول الله ﷺ

نصرة رسول الله ﷺ مقدمة على نصرة الإسلام نفسه , والأدب مع رسول الله ﷺ مقدم على الشرع نفسه , وجعل تعالى الأدب مع صاحب الشرع , مقدم على الشرع : فقد رُوي أنه قام رسول الله ﷺ يصلي , وجاء ابن عباس رضي الله عنهما , يريد أن يأتهم برسول الله ﷺ , وكانت السنة : إذا كانا اثنين : أن يقفا بمحاذاة بعضهما , الإمام عن الشمال , والمأموم عن اليمين . ولكن ابن عباس رضي الله عنهما تأخر قليلاً , فلم يقف بمحاذاة رسول الله ﷺ , فوضع المصطفى ﷺ يده على رأس ابن عباس , فقدمه ليقف بمحاذاة , ولكن ابن عباس رضي الله عنهما تأخر , وتكرر هذا الفعل من رسول الله ﷺ , ومن ابن عباس رضي الله عنهما , ثلاث مرات . فلما انتهيا من الصلاة ؛ سأل رسول الله ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ هَذَا ﴾ ؟ فقال : ما كان لابن عباس أن يحاذي رسول الله ﷺ . فدعا له رسول الله ﷺ .

ثم أصبحت سنة بعد ذلك ؛ أن يقف المأموم متأخراً قليلاً عن الإمام , إذا كانا اثنين .

مراتب الوجود

اعلم أن الذات الإلهية المقدسة هي ذات مطلقة ، لا تقبل التقييد ولا النسب ، ولا الأسماء ولا الصفات ، وهي تُشْهَدُ ولا تُعْلَمُ . فهي تشهد بالروح : إذ لها الإطلاق ، ولا تعلم بالعقل : إذ العقل تقييد في تقييد . وهي المعبر عنها بنفس الله : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ {المائدة : ١١٦} ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ {آل عمران : ٢٨ ، ٣٠} . وهي التي كانت قبل أن يخلق الله الخلق . سئل رسول الله ﷺ : أين كان الله قبل أن يخلق الخلق ؟ فقال ﷺ : ﴿ كَانَ فِي عَمَاءٍ ﴾ (١) . أي كان في عماء عن العقول المقيدة . ولا يتجلى الله تبارك وتعالى - التجلي الذاتي - إلا لقلوب المحبوبين من عباده ، فلا يتجلى بذاته لملك ، ولا لفلك ، ولا لأي مخلوق ، إلا لقلوب أحبائه من بني آدم فقط . ثم أن الذات المقدسة في هذا الإطلاق ، حيث الإنفراد المطلق ، حيث لا شيء ، ولا خلق ، ولا نسب .

١ - أخرجه الطيالسي وأحمد والترمذي وحسنه وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن حبان في صحيحه وابن أبي عاصم في السنة والديلمي في الفردوس وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الكبير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي رزين العقيلي رحمه الله .

الكنز الثاني — مراتب الوجود

وفي الحقيقة أن الخلق كله كان موجودا في عدم العدم ، كمثل رجل عنده مقتنيات في خزانة ، وقد أحكم غلق الباب عليها ، فهذه المقتنيات موجودة ، ولكنها في داخل الخزانة ، وهذه تشبه مرتبة عدم العدم ، حيث الذات ولا شيء . ثم أن هذا الرجل فتح باب خزانته ، وهذه تشبه مرتبة العدم ، وهي المرتبة الثانية ، التي نظر الله تعالى فيها إلى الأشياء نظر عناية ، وهي مرتبة الألوهية : التي هي أول مرتبة برزت عن الذات ، وهي مرتبة نظر الذات إلى الأشياء ، وإعدادها للوجود ، وهي مرتبة تُعلم ولا تُشاهد ، واسم هذه المرتبة الله .

ثم أن صاحب هذه الخزانة ، أخذ في إخراج مقتنياته من ظلام الخزانة إلى نور الوجود ، فتخرج إلى الوجود على حسب ما هي عليه ، فيخرج الذهب ذهبا ، والفضة فضة ، وهي المرتبة الثالثة ، حيث تُخرج الأشياء من العدم إلى الوجود ، وهي مرتبة الأسماء والصفات .

فالمراتب ثلاثة :

- ١- الذات المقدسة .
- ٢- ومرتبة الألوهية .
- ٣- ومرتبة الأسماء والصفات .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

فالذات المقدسة : إطلاق وعماء ، لا يدخل عليها شيء .

والألوهية : لا يدخل عليها إلا اسم الله تعالى .

والأسماء والصفات : على كثرتها - لا يدخل منها على الله إلا الرحمن ، ثم تدخل جميع الأسماء والصفات على الرحمن .

والتجليات : إما ذاتية ، من الذات على قلوب بني آدم . وإما أسمائية وصفاتية ، يتجلى الله بها على جميع خلقه .

١ - الذات المقدسة :

اعلم أن الإطلاق : هو شيء وراء طور العقل ، فالعقل لا يدرك إلا المقيدات . خلقه الله تعالى للإنسان ، ليدبر به شؤون حياته . فإذا مات ؛ مات عقله ، ودخل على الله بروحه المجردة عن كل نسبة .

إذ لا يدخل على الإطلاق إلا الإطلاق ، فالروح هي نفخة الإطلاق فيك .

والطفل الرضيع يخلقه الله تعالى ولا عقل له ، بل يكون كل علمه لدنيا من لدن الله تعالى ، فيسمع ما لا نسمع ، ويرى ما لا نرى ، من حضرة الإطلاق . ولسانه لا يستطيع التعبير . وكلما مرت الأيام والليالي عليه ، تَكُونُ عقله شيئا فشيئا ، ونضب عنده الإطلاق ، حتى يصير ذكرى . وبدلا من أن يستقي من الإطلاق والحرية ، أصبح يستقي من عقله وتقييده ، وأصبح يحن إلى الحرية ، ويهرب إليها متى وجدها .

فالشرع كله تقييد ، فهو يحاول أن يهرب منه إلى موطن حريته ، ولكن الله قضى عليه هذا التقييد ، وأنه لا يخرج إلى الإطلاق إلا من تقييد غاية التقييد . فظاهر الأمر قيد ، وباطنه فيه الرحمة .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

وجاء ظاهر الشرع تقييدا ، وجاء باطنه إطلاقا ، فظاهر الصلاة تقييد بحركات وأقوال ، تدرك بالعقل . وباطنها خشوع وجمع على الله ، يدرك بالروح . فالإنسان كقطرة ماء أخذت من البحر ، فما دامت هذه القطرة خارج البحر فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وحقيرة ، ومقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه ، فإذا ألقيتها في بحرها مرة أخرى ، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع أن تفصلها عنه ، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

٢- مرتبة الألوهية :

- كان الخلق جميعا في عدم العدم .
 - ثم خرج إلى العدم .
 - ومنه للوجود .
- وهذه المراتب الثلاث : هي مراتب موجودة بالنسبة لله - وإن كانت مرتبة العدم ، وعدم العدم ، غير موجودة بالنسبة للخلق - وذلك كما في مثال الخزانة السابق .
- فالله تعالى ما خلق إلا عن وجود ، لا عن عدم (١) .
- ومرتبة الألوهية : هي الأحدية ، حيث الله ولا شيء معه .
- والأحدية غير الواحدية ، إذ الواحدية : نسبة . فتقول : واحد واثنان ، أما الأحدية : فهي مرتبة اضمحلال جميع النسب والأسماء والصفات في مرتبة واحدة ، فلا تتميز نسبة من نسبة ، ولا صفة من صفة .
- وذلك كمثّل بحيرة ، يصب فيها ماء جداول مختلفة ، فما دام الماء في جدولهِ - لم يصل البحيرة بعد - فإنه يتميز عن ماء من جدول آخر ، أما إذا صب

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ {النحل : ٤٠} . فقله تعالى : (أن نقول له) . يُعلمنا أن هذا الشيء موجود برتبة ما . وهذا هو المقصود من قولنا أنه تعالى خلقه عن وجود لا عن عدم . والله أعلم .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

الماء كله في البحيرة ، فلا يتميز ماء جدول من ماء جدول آخر . وهذه هي الأحدية : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص : ١} .

ومرتبة الألوهية ، لها وجه إلى الذات ، ووجه إلى الأسماء والصفات . فهي برزخ عظيم بين بحرین .

فوجهها الذي للذات : هو مطلق ، لا تقييد فيه .

أما الوجه الذي للأسماء والصفات : فهو تقييد بكل اسم ، وكل صفة ، وكل عَرَض . وهذا هو موقف السواء ، فمن أراد من الأولياء عبور الأسماء والصفات إلى الذات ، فلا بد له من المرور ببرزخ السواء .

فما دما في بوتقة الأسماء والصفات ، تتصرف فينا ، وتتقوت علينا .

فالله تعالى يتصف بصفات المخلوقين ، تأنيسا لهم . فيتسمى بأسماء - لولا أن الشرع جاء بها - لما صدقها العقل : فيتصف بالفرح والتبشيش ، والمكر والخداع ، والاستهزاء والضحك . وهذه الصفات جميعا ليست صفات الذات ، إذ أن الذات مطلقة ، لا تقبل هذه النسب ، ولكنها كلها تحليلات الأسماء والصفات ، قبل الوصول إلى برزخ السواء .

فثبت لمرتبة الألوهية : الساق والعين واليد ، ولا تثبت للذات .

وفي بوتقة الأسماء والصفات : نتصف نحن بأوصاف الله من العلم والقدرة

الكنز الثاني — مراتب الوجود

والسمع والبصر ، وكل هذه تجليات الأسماء والصفات ، وليست الذات .
فإذا ارتفعنا إلى موقف السواء : فالعبدُ عبدٌ ، والربُّ ربٌّ - حيث تحفظ
المقامات - ولا تجلي هناك إلا بالأحدية .
فإذا تجاوزت البرزخ إلى الإطلاق : فما ثمَّ إلا الذات ، ولا عبد هناك .
ولكن من بلغ هذا المنزل ، استهلك كله ، فلا شيء له ، كرسول الله ﷺ ؛
كان يدعو ، ويقول : ﴿ وَاجْعَلْنِي نُورًا ﴾ (١) .
فهو مستهلك كله في الله ، وليست فيه ذرة واحدة لغير الله .
فمن رآه فقد رأى الحق ، يعني كأنه رأى الله تعالى .

١ - روى مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي عن ابن عباس ؓ . أنه ﷺ كان
يقول في سُجُودِهِ : ﴿ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ،
وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي
نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا ﴾ .

٣- مرتبة الأسماء والصفات :

أما المرتبة الثالثة : فهي مرتبة الأسماء والصفات ، لما برزت إلى الوجود ، وتجلت بها الذات ، افتقرت إلى أعيان يظهر فيها حكمها : فكيف يكون كريماً ، من لم يجد من يتكرم عليه ؟

وكيف يكون رحيماً ، من لم يجد من يرحم ؟

فطلبت الأسماء من الله تعالى قوتاً لها ، تفرح بالتقوت عليه .

فهي إلى قوتها ، أحوج من قوتها إليها !

فخلق الله الخلق كله ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ، إلا الإنسان .

ولكن هذه الموجودات جميعاً ، لم تستنفذ كل الأسماء والصفات الإلهية . فالحيوان ، تجلى الله عليه بالقدرة ، فجعله قديراً . وبالسميع ، فجعله سمياً . وبالبصير ، فجعله بصيراً .

وعلى الجمادات باسم أو اسمين ، وعلى الطيور وغيرها .

حتى خلق الإنسان ، فتحمل كل الأسماء والصفات ، فجعله مؤهلاً لتجلي جميع الأسماء والصفات ، على ما فيها من أضداد .

فله تعالى أصل : وهو ذاته ، وصورة : وهي تجلياته الأسمائية .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

قال رسول الله ﷺ : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ (١) .

فخلق الله تعالى الكون كله على صورة الجمال ، وهي صورته تعالى كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ﴾ (٢) ، فخرج الكون كله جميلا في منتهى الجمال . فكان العالم هو المخلوق الأول المطوّل .

ثم خلق الله الإنسان ، فكان ملخص هذا العالم الكبير : ﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ { غافر : ٥٧ } . ولكن خلق الناس أكمل من خلق السماوات والأرض .

١- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي هريرة ؓ وقال السيوطي في التعليق على هذا الحديث في الجامع الصغير : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته ، .. ، وقيل الضمير (راجع) لله تعالى ، بقرينة رواية : ﴿ خُلِقَ آدَمُ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ ﴾ . أي أعطاه من الصفات ما يوجد مسماها عند الله عز وجل ، كالموت والحياة والعلم والكلام والرحمة ، والتي لم تُعط بمجموعها للحيوان ولا للملائكة ولا للجن ، وإن كان الاشتراك فقط في مسميات هذه الصفات وليس في عينها ، حيث أن المشترك بين قدرة العبد وقدرة الخالق هو الاسم فقط ، وهكذا بشأن جميع الصفات .

٢- رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن ابن مسعود ؓ . وأحمد في مسنده عن أبي ربحانة ؓ . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ؓ . والحاكم في المستدرک عن ابن عمر ؓ . وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر ؓ . والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد ؓ . وابن عدي في الكامل عن ابن عمر ؓ .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

فالإنسان هو نسخة العالم كله . يحتاج إليه العالم ، ولا يحتاج هو إلى العالم ،
فله الكمال ظاهرا وباطنا ، جسما وروحا . فجسمه : خلقه الله بيديه ،
تشريفا له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ ﴾ {ص : ٧٥} . وعلى
صورته كما قال ﷺ : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ (١) .

فصورة الإنسان لها الشرف على جميع المخلوقات .

وروح الإنسان وباطنه : كانت نفخة ربانية ، لم يحظ بها مخلوق سواه .

ومنذ أن خلق الله الإنسان ، وهو في بوتقة التجليات الإلهية :

- إما تجليات ذاتية : لم يتجلى الله بها إلا على قلب الإنسان خاصة .

- وإما تجليات أسمائية وصفاتية : تجلى الله بها على جميع خلقه ، بما
في ذلك الإنسان .

وما زال الإنسان في هذه البوتقة ، تتوالى عليه أحكام الأسماء والصفات ،
وهو يتقلب معها ويتلون فيها ، وتشتاق روحه إلى التمكين والثبوت ،

وجمع الجمع ، فيأمره الحق تعالى بالفرار من البوتقة : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾

{الذاريات : ٥٠} . فيفر من هذه التلونات إلى الأحدية الإلهية الثابتة ، فترتاح

روحه ، ويستقر قلبه .

١- تقدم ترجمته ص ٢٣١ ، ٢٩١ .

الكنز الثاني ————— مراتب الوجود

- وأنت تستطيع أن تحقق هذا الفرار - حيث الجمع على الله - في أقل من ثانية ، وفي أي مكان كنت ، بأن تغمض عينيك - ولو قليلا - ثم تأخذ نفسا عميقا ، وتغيب عمن حولك ، فتجد الله في قلبك ، حيث كان منك ، وكنت منه ، قبل أن تخرج إلى هذا العالم ، وقبل أن تُلقى في هذه البوتقة.
- تستطيع أيضا قبل أن تنام ، أن تُقَبِّلَ الله تعالى ، وتنام في حضنه إلى الصباح .
- تستطيع أيضا أن تدخل الجمع ، في السجود في الصلاة ، فإن الإنسان إذا سجد : ﴿اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي﴾ (١) ، ودخل (أي الإنسان) في جمع مع الله تعالى ، كما قال رسول الله ﷺ : ﴿أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ﴾ (٢) .

١ - أخرجه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة ؓ .
٢ - أخرجه مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ .
ورواه البزار والطبراني عن ابن مسعود ؓ . ورواه ابن النجار عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن مجاهد ؓ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

اعلم أن الأسماء الحسنى لله تعالى : كأنها أنهار ، تصب في عين واحدة ،
فما دام الماء في أنهاره ، أمكن تمييز كل ماء من أي نهر هو ، فإذا اختلطت
الأنهار في العين ، لم يمكن تمييز ماء كل نهر من الأنهار . فالأنهار هي
الأسماء الحسنى ، والعين هي عين الأحدية ، حيث لا نسب .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

الله جل جلاله

لفظ الجلالة : الله ، الله .

هو الذكر الجاري على نفوس جميع العوالم ، شاءوا أم أبوا ، في كل نفس من أنفاسهم ، وكل حركة من حركاتهم ، بل وكل سكون من سكناهم .

واعلم أن تسبيح الكائنات - عدا الجن والإنس - ليس هو صوت كأصواتنا ولكن منها ساكن ، ومتحرك :

فالساكِن : تسبيحه كصوت دوي النحل .

والمتحرك : فتسبيحه هو صوت حركته ، كهدير الماء .

أما الساكن مرة ، والمتحرك مرة : كصهيل الفرس ، فهو الذكر الظاهر له ، فإن سكت ، فله ذكر الساكنات ، لمن قدر على سماعه .

فكل المخلوقات من حيث الذكر : لا تذكر سواه .

أما ذوقاً ، فلم يتعبد فيه سوى النور المحمدي .

وذلك لما خلقه الله تعالى أول من خلق ، وأوجده أول من أوجد ، ولا شيء معه ، فأخذ هذا النور الأقدس يتعبد في هذا المحراب الأنفس ، تعبدًا في خلوة ، بينه وبين ربه تعالى ، حيث لا أحد سوى وتيرة الله تعالى ، وعبودية المصطفى ﷺ . وتلك هي أول الخلوات ، وأعظمها . ثم الخلوة الكبرى في

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

المعراج : حيث نُج برسول الله ﷺ ، حيث لا أحد إلا الله تعالى . قال ﷺ :
﴿رَأَيْتُ رَبِّي﴾ (١) .

الله : مفتاح الإيمان ، وسر الإسلام .

فلا يؤمن إلا من نطق بها ، فمن قال : لا إله إلا الرحمن ، لا يكون مسلماً ،
أو قال أي اسم كذلك .

فلا يخرج من ظلمات الكفر ، إلى نور الإسلام ، إلا لا إله إلا الله .

١ - أخرجه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال :
لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا بِعَرَفَةَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّا
بَنُو هَاشِمٍ نَزَعُمُ أَنْ نَقُولَ : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ كَعْبٌ : إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَاهُ
وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى : فَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ ، وَرَأَاهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ . وأخرج النسائي والحاكم
وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال : اتَّعَجِبُونَ أَنْ تَكُونَ الْحُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ ، وَالْكَلَامَ
لِمُوسَى ، وَالرُّؤْيَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ ؟ . وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي ذر قال :
سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : ﴿نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ﴾ . وأخرج مسلم وابن
مردويه عن أبي ذر : أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : ﴿رَأَيْتُ نُورًا﴾ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري : وممن أثبت الرؤية لبنينا ﷺ الإمام أحمد
فروى الخلال في " كتاب السنة " عن المروزي قال : قلت لأحمد : إنهم يقولون إن أم
المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على
الله الفرية " . فبأي شيء يدفع قولها ؟ ، قال : بقول النبي ﷺ : ﴿رَأَيْتُ رَبِّي﴾ ، قول
النبي ﷺ ، أكبر من قولها .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وسبب ذلك أن اسم الذات الجامعة : (الله) ؛ يقوم مقام كل اسم ، ولا يقوم اسم مقامه .

فمن طلب الرزق ، قال : يا رزاق .

ومن طلب الرحمة ، قال : يا رحيم .

وحجب بهذا الاسم ، عن باقي الأسماء .

أما من قال : يا الله ، وهو يريد رزقا ، قام مقام الرزاق ، ومن قاله ، وهو يريد رحمة ، قام مقام الرحيم .

فاسم (الله) ، ينوب عن كل اسم ، ويجمع جميع الأسماء ، ويقوم مقامها ، ولا ينوب عنه في مرتبة الألوهية اسم آخر .

أما في مرتبة الربوبية ، فينوب عنه اسمه الرحمن ، فقط .

والألوهية نعني بها : توجه الحق للحق .

والربوبية نعني بها : توجه الحق للخلق .

فتجلي الحق لنفسه : هي الألوهية .

وتجلي الحق على خلقه ، بالإنعام والتربية والإمداد : هي الربوبية .

فهو اسم الذات المشرفة ، لا يدخل حضرته من الأسماء إلا الرحمن ، وذلك بعد الاستئذان ، والإذن .

ثم أن جميع الأسماء الشريفة الحسنى ، تدخل على اسم الرحمن بغير استئذان ، إذ عنه برزت ، وفيه انتهت .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

ألا ترى قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ { طه : ٥ } . ؟
والعرش في بطنه الكرسي ، والكرسي وسع السماوات والأرض ، فما استوى
على عرش الأسماء والمسميات إلا بالرحمن . فالحضرات أربع :

١ - حضرة تفريد اسم الله تعالى بالذكر :

حيث قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ { البقرة : ٢٠٣ ، الأنفال : ٤٥ ، الجمعة : ١٠ } .

﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ﴾ { الأحزاب : ٣٥ } .

قال رسول الله ﷺ : ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ
اللهُ﴾ (١) ، وكرر لفظ الجلالة هنا ليبين أنه ذكر .

٢ - حضرة النيابة والتوكيل :

حيث ينب ، اسم الذات : الله ، اسمه تعالى : الرحمن ، ليقوم بتدبير أمور
المملكة ، من أسماء ومسميات ، ومحو وإثبات ، وإيجاد وإمداد ، وهو قوله
تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ { الإسراء : ١١٠ } .

١ - رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي وأبو عوانة
عن أنس رضي الله عنه ، ورواه الحاكم في المستدرک وصححه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

٣- حضرة التخصيص :

وهو اختصاص كل اسم ، بأمر من الأمور ، فالرحيم : للرحمة ، والحليم : للحلم ، والرزاق : للرزق ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ {الأعراف : ١٨٠} .

٤- حضرة التشيت :

وهي الحضرة الرابعة ، حيث تشيت الأرباب ، فمن أحب المال ، حتى أنه يترك كل شيء لأجله ، فربه المال . ومن أحب النساء ، وأمضى حياته متعبدا في محرابهم ساجدا راکعا ، فربه النساء . ومن أحب الله تعالى ، قلبا وعقلا وروحا ، فربه الله . وهو قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا ۖ ﴾ {آل عمران : ٤١} . وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ۖ ﴾ {الأعراف : ٢٠٥} . وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۖ ﴾ {المزمل : ٨} . وقوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۖ ﴾ {الإنسان : ٢٥} .
عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه ، قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ قَالَ : ﴿ كَانَ فِي عَمَاءٍ ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) .

١- سبق تخريجه ص ٢٢ ، ١٠٠ ، ٢٨٢ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

لما شاء الحق سبحانه وتعالى - من حيث أسمائه الحسنی التي لا يبلغها الإحصاء ، أن يرى أعيانها ، وإن شئت قلت أن يرى عينه - فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ، ما هي مثل رؤيته في أمر آخر يكون له كالمرأة - وقد كان الحق تعالى ، أوجد العالم كله ، وجود شبح مسوى ، لا روح فيه ، فكان كالمرأة غير مجلوة ، فكان آدم - هذا الإنسان الكامل - هو عين جلاء مرآة العالم .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، قال : ﴿ الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ﴾ (١) والمؤمن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ، فالحق تعالى يرى صورته في الإنسان الكامل .

عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، قال : لَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : ﴿ فِيهِمُ الْآبَدَالُ ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ ، وَبِهِمْ تُرْزَقُونَ ﴾ (٢) والناصر والرازق هو الله تعالى .

١- الطبراني في الأوسط والضياء والبخاري والقضاعي عن أنس رضي الله عنه وحسنه السيوطي ، ورواه البخاري في الأدب وأبو داود وابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال العراقي إسناده حسن .

٢- أخرجه بهذا اللفظ الطبراني وابن عساكر عن عوف ابن مالك رضي الله عنه وحسنه السيوطي .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

ولذلك عبر عن الإنسان الكامل بمرآة الحق ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ {التين : ٤} . وكما أن ذات الله تعالى خفيت عن الأبصار ، فقد خفيت عن الأفكار والعقول والملائكة ، وأن الملائكة الأعلى ليطلبونه سبحانه وتعالى كما يطلبه غيرهم (١) ونحن مطالبون بالعلم بتوحيده ، لا بذاته : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ {آل عمران : ٢٨ ، ٣٠} .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا . وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ﴾ (٢) .

١- رواه العلامة البيهقي في شرح جوهرة التوحيد بلفظ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اخْتَجَبَ عَنِ الْبَصَائِرِ كَمَا اخْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُطَلَّبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ﴾ . كما روي أيضاً بلفظ : ﴿اخْتَجَبَ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا اخْتَجَبَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَاخْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا اخْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى مَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ ، وَلَا غَابَ عَنْ شَيْءٍ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُطَلَّبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ﴾ .

٢- رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الزهد وابن عساكر عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأبو يعلى عن أم المؤمنين السيدة ميمونة رضي الله عنها . ورواه ابن السني في الطب عن سمويه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

فالكامل منا له نافلة ، وليس للملائكة نافلة .
فهم عبيد اضطرار ، ونحن عبيد اضطرار من فرائضنا ، وعبيد حب واختيار
من نوافلنا ، فالكامل منا يبلغ أن يكون الحق سمعه وبصره ، وجميع قواه .
فحينئذ يتعرف على الله بالله ، لا بنفسه ، إذ أنه تعالى لا يعرفه إلا هو .
كما قال قائلهم :

أعارته طرفا رآها به فكان البصير لها طرفها

والإحسان : ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ﴾ (١) .

فأمرنا أن نشرع في العمل على الحجاب ، حتى نراه ، فنرى العمل صادرا
منه ، فينا : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ^٤ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى^٥ ﴾ { الأنفال : ١٧ } .

فلما أحب الحق تعالى أن يعرفه خلقه ، وعلم ضعفهم عن ذلك ، تجلّى لهم
في أول حضرة من الحضرات ، وهي حضرة أسمائه وصفاته ، فعرفهم نفسه
بصفات يعرفونها ، وجعل بيننا وبينه حجابا وبرزخا .

في هذا البرزخ يتصف الحادث بصفات القديم ، كالعلم والقدرة والغنى ،
ويتصف القديم بصفات الحوادث ، حتى نعرفه ، ونأنس به ، كصفة الفرح

١ - رواه مسلم في صحيحه ، والثلاثة : [أبو داود ، الترمذي ، النسائي] عن عمر رضي الله عنه . ورواه
أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

والإتيان ، والتبشيش والنزول ، والسمع والبصر والحلم ، وغيرها من صفات البشر .

بل يتودد إلينا ، ويستقرضنا ، ويستحيي من الشيخ الكبير .

فإذا تخطينا هذا البرزخ ، فالخلق خلق ، والحق حق .

وإلا فالله تبارك وتعالى ، جلّت صفاته ، وتنزهت عن إدراك عقولنا ، لكاملها ، لأننا صنعة الله ، ولا يمكن لصنعة أن تدرك صانعها .

ثم ألقى الله تعالى من نور هذه الأسماء على خلقه ، فانفعلت لها الأكوان جميعا :

● فمن المخلوقات من تحمّل اسما واحدا ، كالجملادات ، كانت عدما فأوجدتها باسمه الخالق .

● ومنها من تحمّل اسمين . ومنها من تحمل ثلاثة .

● فالحيوانات خلقها ، ورزقها وقدرها ، وأمدّها بسمع وبصر ، بأسمائه تعالى الخالق القادر الرزاق السميع البصير .

● ولم يكن في مقدور مخلوق ، أن يتحمّل الإمداد بجميع أسمائه تعالى إلا

الإنسان ، وهذه هي الأمانة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾

{الأحزاب : ٧٢} . وليست الأمانة هي التكاليف ، لأن الجن مكلفون أما

الذي حمل الأمانة في الآية ؛ الإنسان فقط : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

{الأحزاب : ٧٢} . فمن حملها عَرَضاً فقد هلك ، ومن حملها من الإنسان جَبْراً ، فهو مؤد لها على كل حال ، فهذه أمانة الخلافة عن الله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ {البقرة : ٣٠} .

فهذا الإنسان الكامل : الخليفة عن الله ، هو الذي تخلق بأسمائه تعالى ، على ما ينبغي أن يكون التخلق ، وعلى أعلى كمال في المَتَخَلَّق ، وعندما تظهر بوادر العصيان من الرعية على هذا الخليفة : ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ {البقرة : ٣٠} . فإنه - تعالى - يسألهم عن علمهم بالأسماء التي يجب أن يتخلق بها الخليفة عن الله ، فلا يجيبون ، فيظهر علمه وعجزهم ، ولكن تبقى فيهم بعض روائح الغبطة ، بلغة حسن الظن ، فيأتي هذا الملك بوزرائه المقربين ، ويأمرهم بالسجود لهذا الخليفة ، فيسجد الجميع طاعة للأمر ، وإذعانا للمقام ، ثم من لم يسجد ؛ طُرِدَ وَلُعِنَ . فعندئذ ، تحقق لهذا الخليفة المعظم السيادة ، والتقدم بلا شريك ، ولا منازع في خلافته .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾ (١) . أي : هو الوحيد الذي تخلق بأخلاق الحق جميعا ، فكان الحق جميع قواه ،

١ - سبق تخريجه ص ٢٣١ ، ٢٩٢ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

فإذا نظرت إلى هذا الإنسان الكامل ، ذكرت الله تعالى ، فهذه النشأة الإنسانية بكمالها ، روحا وجسدا ونفسا ، خلقها الله تعالى على صورته : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى : ١١} أي : ليس مثل مثله شيء ، وليس مثله إلا من خلقه على صورته ، فليس مثل الله شيء ، وليس مثل هذا الإنسان شيء . فلا يتولى حل نظامها إلا من خلقها ، ألا ترى من وجب عليه القصاص ، كيف شرّع لولي الدم أخذ الفدية منه ، أو العفو عنه ، ألا ترى إذا كان أولياء الدم جماعة ، فرضي واحد بالدية ، أو عفا عنها - وباقي الأولياء لا يريدون إلا القصاص - كيف يراعى من عفا ، ألا تراه ﷺ يقول في صاحب النّسعة (١) : ﴿إِنْ قَتَلَهُ كَانَ مِثْلُهُ﴾ (٢) وفي القرآن : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ {الشورى : ٤٠} . فجعل القصاص سيئة ، أي يسوء مع كونه مشروعاً : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ {الشورى : ٤٠} . لأنه على صورته ، فأجره على

١- قال ابن الأثير النّسعة بالكسر : سَيِّئٌ مَضْفُورٌ ، يُجْعَلُ زَمَامًا لِلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ . وفي هذا الحديث كان القاتل مقيدا بالنسعة .

٢- رواه بهذا اللفظ أبو داود والطبراني في الكبير عن علقمة بن وائل عن أبيه ﷺ . وبلفظ : ﴿إِنْ قَتَلَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ﴾ رواه مسلم عن علقمة بن وائل عن أبيه ﷺ . وبلفظ : ﴿أَمَّا إِنَّهُ إِنْ كَانَ قَوْلُهُ صَادِقًا فَقَتَلْتَهُ دَخَلْتَ النَّارَ﴾ رواه الترمذي وصححه عن علقمة بن وائل عن أبيه ﷺ . وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

من هو على صورته ، وما ظهر تعالى بالاسم الظاهر ، إلا بوجوده ، فمن راعاه إنما يراعي الحق ، وما يذم الإنسان لعينه ، ولكن لفعله ، وفعله ليس عينه . عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا لِدَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ ، فَتَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ ، وَيَضْرِبُونَكُمْ رِقَابَكُمْ : ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴾ (١)

وذلك أنه : لا يعلم قدر هذه النشأة الإنسانية ، إلا من ذكر الله الذكر المطلوب منه ، فإنه تعالى جليس من ذكره ، والجليس مشهود ، ومتى لم يشاهد الذاكر الحق - الذي هو جليسه - فليس بذاكر . فإن ذكر الله ، سار في جميع العبد . أما إذا ذكر العبد بلسانه فقط ، فإن الحق يكون جليس اللسان فقط .

ومع أن داود عليه السلام ، خليفة - وقاتل عن أمر الله - ولكن الله تعالى حرمه من إتمام بيت المقدس ، لما تلطخت يده من دماء خلقه ، وإن كان محققا ، وبإذن . ويتولى الحق تعالى هدم النشأة ، المسمى موتا ، وليس بإعدام ولكن يأخذه الحق إليه ، ويسوي له مركبا غير هذا المركب ، من جنس الدار التي انتقل إليها .

١ - أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وابن ماجه وابن جرير عن أبي الدرداء رضي الله عنه . وأحمد عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وكما أن هذا الكون شهادة عندنا ، والله غيب نؤمن به ، فإن الله تعالى في خلقه ضنائن مجهولين في العالم ، لا يشهدون في الكون إلا الله . لا يعرفون عالماً ، لأنهم لا يشهدونه عالماً ، فهم يشهدون الحق ، عيناً ، ويشهدون العالم إيماناً وغيباً ، لأن الحق أخبرهم أن ثَمَّ عالماً ، فيؤمنون به ، ولا يرونه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ {آل عمران : ١٨} . ولا شهادة على غائب ، فهم يشهدونه تعالى أولاً ، ثم يرون أنوار الإيجاد والإمداد ، نازلة من أسمائه على شتى المخلوقات ، وكل يتحمل منها على حسب طاقته وفطرته واستعداده .

فعند أهل الله : الحق مشهود ، والخلق معقول . وعند غيرهم ، العكس . فأهل الله يمشون على طريق يعرفونها ، ويعرفون غايتها : ﴿ كُنْتُ رَجُلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ﴾ (١) . فهي في حقهم صراط مستقيم ، ومن الناس من يمشي على طريق يجهلها ، ولا يعرف غايتها . فالعارف يدعو إلى الله على بصيرة ، وغير العارف يدعو إلى الله على التقليد .

ولما أراد تعالى خلق هذا الخليفة المعظم ، نفخ فيه من روحه ، ليصح النسب .

١ - سبق تخرجه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٤ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وقد صح من جهة الكشف ، قول رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، عَرَفَ رَبَّهُ ﴾ (١) . وفي كتاب : { أدب الدنيا والدين } للماوردي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سئل النبي ﷺ : مَنْ أَعَرَفُ النَّاسِ بِرَبِّهِ ؟ . فقال : ﴿ أَعَرَفُهُمْ بِنَفْسِهِ ﴾ (٢) .

فتعين على كل إنسان - يحترم إنسانيته - أن يتعرف على سر سجود الملائكة . وهل غير روحه ؟؟

● قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ {الإسراء : ٨٥}

فلا يغرنك قول من قال : عدم جواز الخوض في الروح وعلومها ، مدعيا حرمة ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ فإن اليهود لعنهم الله ، سألوا رسول الله ﷺ عن الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ أي يهود ﴿ قُلِ ﴾ أي قل لهم : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ أي عن أمر ربي ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾ أي أيها اليهود ﴿ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وليس في ذلك ما يفيد عدم جواز البحث وراء هذا السر العظيم ، ومن زعم أن رسول الله ﷺ لا يعرف روحه ، فقد أعظم الفرية .

١ - هذا الحديث هو من الأحاديث التي ترويهما السادة الصوفية كشفا وليس له إسناد معروف .

٢ - ذكره العجلوني في كشف الخفاء .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

كيف ؟ وقد نفخ الله تعالى ، هذه الروح الروحانية ، في هذه الجثة الجثمانية ،
للدلالة على وحدانيته ، وربانيته ، من عشرة أوجه :

الأول : أن الهيكل كان مفتقرا إلى مدبرٍ ومحركٍ ، وهذه الروح مدبرة ومحركة ،
فعلمنا أن هذا العالم لا بد له من مدبر ومحرك .

الثاني : لما كان مدبر الهيكل واحدا ، وهو الروح ، علمنا أن مدبر هذا
العالم واحد ، لا شريك له في تديره وتقديره .

الثالث : لما كان هذا الجسد لا يتحرك ، إلا بإرادة الروح وتحريكها له ،
علمنا أنه مريد لما هو كائن في كونه ، لا يتحرك متحرك بخير أو بشر إلا
بتقديره وإرادته وقضائه .

الرابع : لما كان لا يتحرك في الجسد شيء ، إلا بعلم الروح وشعورها به ،
علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة ، في الأرض ولا في السماء .

الخامس : لما كان هذا الجسد ، لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من
شيء ، بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد ، علمنا أنه تعالى أقرب إلى
كل شيء ، ليس شيء أقرب إليه من شيء ، ولا شيء أبعد إليه من
شيء .

السادس : لما كان الروح موجودا قبل وجود الجسم ، ويكون موجودا بعد

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

عدم الجسم ، علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه ، ويكون موجودا بعد فقدهم . ما زال ، ولا يزال ، وتقديس عن الزوال .

السابع : لما كان الروح في الجسد ، لا يُعرَف له كيفية ، عَلِمنا أنه مقدس عن الكيفية .

الثامن : لما كان الروح في الجسد ، لا يُعرَف له أيّنية ، علمنا أنه منزّه عن الأيّنية ، فلا يوصف بأيّن ، بل الروح موجودة في كل الجسد ، ما خلا منها شيء من الجسم ، وكذلك الحق تعالى ، موجود في كل مكان ، ما خلا منه مكان ، وتنزه عن المكان والزمان .

التاسع : لما كان الروح لا يُدرَك بالبصر ، ولا يمثل بالصور ، علمنا أنه تعالى لا تدركه الأبصار .

العاشر : لما كان الروح لا يُحسُّ ولا يُمسُّ ، علمنا أنه تعالى منزّه عن الحس والجسم واللمس .

وهذا معنى من معاني الحديث السابق : ﴿مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، عَرَفَ رَبَّهُ﴾ .

فإذا أردت أن تتعرف على روحك ، فقل : (الله) في سرك ، بغير حركة لسان ، فستجدك قلتها بغير لسان ، وسمعتها بغير آذان ، فتلك هي روحك القائلة ، السامعة .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ﴾ (١) فهي المحدثه ، السامعة حديثها ، العالمة بما حدثت به أنفسها ، وهذا هو ربك المجالس لك : ﴿ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي ﴾ (٢) وهذا هو مقام الإحسان : ﴿ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ﴾ (٣) . فإذا رأيته ظهر لك في مرآة قلبك باسمه الظاهر ، ففנית به عن كل كون ، إذ الحادث لا يثبت لمن وصفه القدم .

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تُجتلى فيك صورتني

١ - متفق عليه [البخاري ومسلم] والأربعة [أبو داود ، الترمذي ، النسائي ، ابن ماجه] وسفيان وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي هريرة ؓ وابن جرير عن قتادة والطبراني في الكبير عن عمران بن حصين ؓ .

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد وأبو نعيم والبيهقي في شعب الإيمان عن كعب الأحبار ؓ . ورواه الديلمي بلا سند عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ، وللبيهقي في موضع آخر عن شعبة من جهة أبي أسامة ، قال : قلت لمحمد بن النضر : أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ، فقال : ما لي أستوحش وهو يقول : ﴿ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي ﴾ ، وكذا أخرجه أبو الشيخ من جهة حسين الجعفي قال : قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص : أليس تروي أنه قال : ﴿ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي ﴾ ؟ فما أرجو بمجالسة الناس ، وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله : ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ﴾ .

٣ - سبق تخريجه ص ١٥٠ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

وهذه الروح التي هي أصلك ، وجوهرك ، إنما هي نسخة العالم ، من فرشه إلى عرشه ، وهي رائحة ربك ، ونفخته فيك ، فإذا عرفت بها ، وتحققت بها ، فقد عرفت ربك ، وتحققت به ، وإنما يدلك على عظمها ، ما ورد من حديث البراء بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ؛ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ ؛ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، ... ﴾ (١) . فتنزل ملائكة مد البصر من أجل روح واحدة ، حتى تستطيع السيطرة عليها إن كانت كافرة ، وحتى تشيعها في موكب يليق بها إن كانت طيبة . وأنت ما تعرف من ربك إلا قدر ما تعرف من روحك ، وكل موجود ما له من الله إلا ربه خاصة ، إذ يستحيل أن يكون له الكل .

١- أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وهناد بن السري وعبد بن حميد وأبو داود في سننه وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وابن خزيمة والضياء والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

وكل نفس مطمئنة قيل لها : ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ {الفجر : ٢٨} . فما أمرها أن ترجع إلا إلى ربها ، الذي دعاها فعرفته من الكل ، ولم تنظر إلى ربٍّ غيره .
وفي يوم القيامة : ﴿ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَا كُنَّا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا . فيَتَّبِعُونَهُ ﴾ (١) من هنا قال من قال : أما أنا فعرفته ، وما بقى إلا أن يعرفني . وذلك أن لكل معتقد ربا في قلبه أوجده فاعتقده ، وهم أصحاب العلامة يوم القيامة ، فما اعتقدوا إلا ما نحتوا ، ولذلك لما تجلّى لهم ، في غير صورة ما اعتقدوه ، بهتوا ، وأنكروا ، فهم عرفوا ما اعتقدوا ، والذي اعتقدوه ما عرفهم . لأنهم أوجدوه في عقولهم وضمائرهم ، والمصنوع لا يعرف الصانع .

فما في أحد من الله شيء ، وما في أحد من سوى نفسه شيء . فأَي صاحب كشف شاهد في كشفه شيئا ، فتلك صورة نفسه لا غير . فمن شجرة نفسه جنى ثمرة عقله ، فأنت صورته . وهو روحك .

وإن الله تعالى جعل حجابا بين الجسد والروح ، تزداد كثافته بالمعاصي وكثرة

١ - سبق تخريجه ص ٩٨ ، ١٥١ ، ٢٣٤ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

الكلام بغير ذكر الله تعالى ، وكثرة الضحك ، ﴿ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ ﴾ (٢) .

ويرق القلب بكثرة ذكر الله تعالى ، فتبدأ في التعرف على روحك ، التي هي معراجك إلى ربك . وكلما رُقَّ الحجاب ازداد تعرفك إلى ربك ، وملك الموت يأتي فيرفع هذا الحجاب ، فتشاهد عينك الباصرة القاصرة ما يهولها من عظمة تلك الروح ، فيسقط الجسد ، وتبقى الروح - وما كمن فيها من معرفتك بربك - وهو مقدارك عند ربك ، وعليه يكون الحساب :

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ { ق : ٢٢ } .

الأرواح لا تفاضل بينها من حيث أنها مدبرة ، ولكن بينها تفاضل كبير في قابليتها للاستقبال النوراني ، إذ لا يظهر فيك علامة منه إلا على قدر قبول روحك وصفاء مرآتها ، فالفيض الإلهي واسع ، وما لك منه إلا ما تقبله ذاتك ، فذاتك حجرت عليك هذا الواسع ، فذلك القدر الذي تعرفه ، هو ربك الذي تعبد ، ولا تعرف غيره ، فتأتي يوم القيامة ، فيظهر لك بهذه العلامة ، فتقول إن ربي ما عودني إلا كذا وكذا :

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد في مسنده والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وابن

ماجة وأبو نعيم في الحلية والقضاعي عن أبي هريرة رضي الله عنه . والديلمي عن ابن عمرو رضي الله عنه .

٢- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ومحمد بن نصر والخراطي في اعتلال القلوب وأبو نعيم في

الحلية والخطيب وابن شاهين في الترغيب في الذكر ، عن ابن عمر رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ {الحديد : ٤} . فالمؤمن يجد ربه عند حسن ظنه ،
أما الكافر : ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ {الزمر : ٤٧} .
ولا يصح أن يكون أحد مع الله ، ولكن الله مع كل أحد ، بما هو عليه
ذلك الواحد .

وسئل الجنيد عن المعرفة ؟ فقال : لون الماء ، لون إنائه .

وهي عبارة غاية المعرفة والدلالة . فهو تعالى : السلام للمسلم ، والمؤمن
للمؤمن ، والمحسن للمحسن ، فمن جمع هذه النعوت ، وظهرت عليه
أحكامها ، تجلى الحق له في كل صورة ، فلا ينكره حيث تجلى ، ولا يظهره
في المواطن التي يجب أن يخفى فيها ، فإن الحق تعالى قد حجر علينا إظهار
الحق في مواطن : كالغيبية والنميمة وكتم الأسرار ، وكلها حق ممنوع الظهور
في الكون القولي .

والإحسان : من الحق : رؤية ، ومن العبد : كأنه .

والإيمان من الحق والخلق على حقيقته ، وكذلك الإسلام .

غير أنه لا يقال في الحق : أنه مسلم ، فما كل ما يُدعى ، يقال . ولا كل
ما يُشهد ، يُداع .

* صدور الأحرار ، قبور الأسرار *

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

الواحد الأحد

فالواحد : نسبة ، أي ليس اثنين ، فهو نهر من الأنهار .

أما الأحد : فهو تلك العين التي تُفني ، ويغرق فيها من ينزلها ، فلا يميز بين اسم ، واسم . وكلها تنزلات منه تعالى : إما للتحقق ، وإما للتخلق ، وإما للتعلق .

فالذات واحدة ، ثم تتصف بالضر والنفع في آن واحد ، وتتصف بالإعزاز والإذلال ، وليس المعز هو المذل ، ولكن تلك حضرة ، وهذه أخرى . وهذا كمن بينه وبين الشمس حجب من زجاج ملون ، كلما ارتفع حجاب رأى الشمس على خلاف ما رآها من قبل ، والشمس واحدة ، وهذا يسمى التلوين . ثم أنه تعالى يجتبي من يشاء ، من حضرة الفرق والتلوين ، إلى حضرة الجمع والتمكين ، التي تنعدم فيا النسب ، وهي عين الأحدية : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص : ١} . فيشهد الله بالله ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ {البقرة : ١١٥} . وإن شئت قلت : يشهد روحه ، بروحه : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} . فحينئذ تتم له السعادة ، ويكون : بالله ، إلى الله ، من الله ، مع الله ، في الله ، لله ، على الله ، عن الله .

وهؤلاء الذين صانوا أنفسهم عن أنفسهم ، فلا تعرفهم أنفسهم .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

الكريم الجواد

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ﴾ (١) . أما عطاء السخاء : فهو العطاء على قدر الحاجة ، من اسمه الحكيم ، وهو قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ { طه : ٥٠ } . وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ { الرعد : ٨ } . ﴿ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ { الحجر : ٢١ } . ﴿ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ﴾ { الشورى : ٢٧ } . وأما سخاء العبد : فإعطائه كل ذي حق حقه ، فلنفسه عليه حق ، ولأهله عليه حق ، ولزوره عليه حق .

أما عطاء الجود : فعن الجود صدر الوجود ، وهو العطاء قبل السؤال . فالجود من الحق : هو ظهوره في الأعيان ، وهو امتنان ذاتي . والجود من الخلق : هو استعدادهم الذاتي ، للانفعال للأسماء ، وهو ذاتي لا امتنان فيه . والجود : بفتح الجيم هو المطر الكثير ، وهو مقلوب وجد ، مثل جذب وجبذ .

١ - رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرک وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد ؓ وصححه السيوطي . ورواه الحاكم عن طلحة ؓ . ورواه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ؓ . والترمذي عن سعيد بن المسيب ؓ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

أما عطاء الكرم : فهو العطاء بعد السؤال ، وهو على نوعين : سؤال بالحال - وسؤال بالمقال .

- فسؤال الحال عن كشف من الطرفين .

- وسؤال المقال من العبد ، يا رب اعطني ، اغفر لي .

- وسؤال المقال من الحق : ﴿ اَدْعُونِي ﴾ { غافر : ٦٠ } . ﴿ اَقِرْ الصَّلَاةَ ﴾

{ الإسراء : ٧٨ - لقمان : ١٧ } . ﴿ وَاَقِمْوْا لَوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ { الرحمن : ٩ } .

وكل طلب تصور من الحق يطلبه من عباده ، وهي الفرائض كلها ، فمن الكرم تؤدي الفرائض ، ومن الجود تكون النوافل .

وعطاء المحسن ، غير عطاء المؤمن والمسلم :

فعطاء المحسن لا يتقيد ، بل يعم جميع الخلق ، فلا يشترط فيه صغيرا ولا كبيرا ، ولا ذكرا ولا أنثى ، ولا غنيا ولا فقيرا ، ولا مؤمنا ولا كافرا ، ولا عاقلا ولا مجنونا ، وتخلقا باسمه المعطي والمحسن والرب والرحمن ، فالله لا يفرق في العطاء ، بل يعطي جميع خلقه ، فيعطي العطاء لأول من يلقاه ، فإن رده عليه ، حينئذ أعطاه للثاني . وأما إن كان العطاء مقيدا ، فهو بحسب ما تقيد به ، فحكم ذلك راجع إلى حكم الشرع ، فيعمل الأولى ، ويتبدى بالذي أمره الشارع أن يتبدى به ، ويبحث عنه حتى يجده .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

المعطي الوهاب الرزاق

العطايا : إما ذاتية ، أو أسمائية .

- فالعطايا الذاتية : لا تكون إلا عن تجلٍّ إلهي ، والتجلي من الذات ، لا يكون إلا بصورة استعداد المتجلي .

فالمتجلَّى له : ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق ، ولا يمكن أن يراه ، واجهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة . لا تراه أبداً ، فلون الماء لون إنائه ، فهو تعالى مرآتك ، في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته أسمائه ، وظهور أحكامها : ﴿ الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ﴾ (١) ، فتارة تكون المؤمن الأولى : اسماً من أسمائه تعالى ، وتارة تكون الثانية . وهذه العطايا هي لأهل الفتح والوصول ، وكلها من حضرة اسمه الوهاب ، فيعطي لينعم ، ولا يكون من الوهاب تكليف المعطى له بعوضٍ على ذلك ، من شكر أو عمل ، لأنها وهب ، والهبة لا تقتضي العوض . وعطايا الأنبياء عليهم السلام ، مواهب . على طريق الإنعام والإفضال ، لا يطلب عليها منهم جزاء : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ { الأنعام : ٨٤ ، الأنبياء : ٧٢ ، العنكبوت : ٢٧ } . ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ﴾ { ص : ٤٣ } . ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا ﴾ { مريم : ٥٣ } .

١ - سبق تخريجه ص ٥ ، ١٩ ، ٢٢٩ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

ولما طلب الشكر على ذلك العمل طلبه من آل داود ، ولم يتعرض لذكر داود عليه السلام ، ليشكره الآل على ما أنعم به على داود عليه السلام ، فهو في حق داود عليه السلام عطاء نعمة وإفضال من اسمه الوهاب ، وفي حق آل غير ذلك . وإن كانت الأنبياء عليهم السلام ، قد شكروا الله على ما أنعم به عليهم ، فلم يكن ذلك على طلب من الله ، بل تبرعوا بذلك من نفوسهم .

وهذه المواهب والعطايا ، لا تكون عن سؤال أصلا ، وإن كانت عن سؤال ؛ فيكون هذا السؤال بأمر إلهي خاص ، ويكون للطالب الأجر التام على طلبه ، فمن أعطاه بسؤال عن أمر إلهي ، فإن الله لا يحاسبه في الدار الآخرة ، ومن أعطاه بسؤال عن غير أمر إلهي ، فالأمر فيه إلى الله ، إن شاء حاسبه ، وإن شاء لم يحاسبه .

- أما عطايه الأسمائية : فما من مخلوق إلا أصابته تلك العطايا ، بل ولا حياة إلا بها ، فأوجده وخلقه باسمه البارئ ، واسمه الخلاق ، والخالق ، ورزقه باسمه الرزاق ، وأمده باسمه السميع ، فأسمعه . والبصير ، فأبصره فجعله بصيرا . وأعطاه قوته من حضرة اسمه القادر . وحكمه في غيره باسمه المقتدر . فتارة يعطي الله تعالى على يدي الواسع ، فيعم . أو على

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

يدي الحكيم ، فينظر في الأصلح في الوقت . أو على يدي الوهاب ، فيعطي لينعم بغير طلب .

ولما قال تعالى في حق الكل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ {الجاثية : ١٣} . اختص سليمان عليه السلام ، بأن التسخير كان عن أمره : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ {ص : ٣٦} . وليس من كونه تسخييرا عن أمر الله .

قال تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ {ص : ٣٩} . وهذا النوع الوهبي لا ينقص صاحبه شيئا من آخرته ، ولا يُحْسَب عليه ، لقوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ ولم يقل لك ، ولا لغيرك . ﴿ فَامْنُنْ ﴾ أي أعط . ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فعلمنا أن سؤال سليمان عليه السلام ذلك كان عن أمر ربه ، أما رسول الله ﷺ ، فقد عُرض عليه أن يكون نبيا ملكا ، يدين العالم له ، سفليه وعلويه ، بغير أن ينقص ذلك مما له عند الله في الآخرة ، فأبى إلا أن يكون عبدا نبيا ، تواضعا لله تعالى ، فما أرفعه من مقام . فالوهاب يكون من غير عوض ، والعطايا تكون لطلب عوض ، وصاحب اسم الوهاب يقوم بالإحسان إلى نفسه وإلى كل عباد الله ، بدون طلب شكر ، إلا لجرد الإنعام : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ {الإنسان : ٩} .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

الولي

نعتُ إلهيَّ للعبد . خُلِقَ لا تَخْلُق . ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ {البقرة : ٢٥٧} .
سرى في كل ما ينسب إليه الألوهية ، مما ليس بـإله .

ولكن لما تقرر في نفس المشرك ، أن هذا الحجر ، أو هذا الكوكب ، أو ما كان من المخلوقات أنه إله - وهو مقام محترم لذاته - تَعَيَّنَ على المشرك احترام المنسوب إليه ، لكون المشرك يعتقد أن تلك النسبة إليه صحيحة . ولما علم سبحانه أن المشرك ما احترام ذلك المخلوق ، إلا لكونه إلهًا في زعمه ، نظر الحق إليه لأنه مطلوب ، فإذا وَفَّى بما يجب لتلك النسبة من الحق ، والحرمة ، وكان أشد احترامًا لها من الموحد ، وتراءى الجمعان ، كانت الغلبة للمشرك على الموحد ، إذ كان معه النصر الإلهي ، لقيامه بما يجب عليه من الاحترام لله ، وأخطأ في النسبة ، وقامت الغفلة والتفريط في حق الموحد ، فلم تتعلق به الولاية ، لأنه غير مشاهد لإيمان ، فالله يقول : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {الروم : ٤٧} . فأَي شخص صدق في احترام الألوهية ، واستحضرها - وإن أخطأ في نسبتها - ولكن مشهوده كان النصر الإلهي ، مع غيرة إلهية على المقام الإلهي ، فإنه العزيز الذي لا يُغلب ، فما جعل نصره واجبا عليه للموحد ، وإنما جعله للمؤمن بما ينبغي للألوهية من حرمة .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

فالولاية من الله ، عامة في مخلوقاته من حيث هم عبيده ، وبهذه الولاية تولاهم في الإيجاد . ولما كان متعلق الولاية للمؤمنين ، لذلك أشهدهم على أنفسهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ {الأعراف : ١٧٢} . ولم يقل لهم ألسنت بواحد ، لعلمه بأنه إذا أوجدهم أشركوا ، ووحد بعضهم ، واجتمعوا في الإقرار بالربوبية ، وزاد المشرك الشريك ، ثم إنه سبحانه وتعالى من عموم ولايتهم ، أن تولاهم بالوجود في أعيانهم ، ويحفظ الوجود عليهم ، وتولاهم برزقه مما فيه قوام عيشهم ، ثم تولاهم بإنزال الشرائع ، فلم يتولَّ تعالى إلا المؤمنين . وما ثم إلا مؤمن . والكفار عَرْضٌ .

أما الرسل ، فرسالتهم ، غير ولايتهم .

فالرسل ، من حيث هم رسل ، لا من حيث هم أولياء وعارفون ، على مراتب ما هي عليه أممهم ، فما عندهم من العلم الذي أرسلوا به ، إلا قدر ما تحتاج إليه أمة ذلك الرسول ، لا زائد ولا ناقص .

● فتفاضل الرسل ، في علم الإرسال ، بتفاضل أممها : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ

فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ {البقرة : ٢٥٣} .

والرسالة لا تستصحب الرسول بعد وفاته وانتقاله ، إنما تصحبه :

نبوته - ومعرفته - وولايته .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

- أما تفاضل الأنبياء ، فبحسب استعدادهم في المعرفة والنبوة : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ {الإسراء : ٥٥} .
- أما تفاضل الخلق ، فقال تعالى فيهم : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ {النحل : ٧١} . والرزق منه : روحاني كالعلوم ، ومنه حسي كالأغذية .

فالولاية لم تنقطع ، أما نبوة التشريع أو الرسالة فقد انقطعت بعد رسول الله ﷺ ، فلا نبي بعده ، مشرعا ، أو مُشرعا له . وإلا فإن عيسى عليه السلام نازل لا محالة ، وهو نبي ورسول ، ولكنه على شرع سيدنا محمد ﷺ ، ولا يأتي بشرع جديد .

- والله تعالى ، ما تسمى بنبي ، ولا رسول ، ولكنه تسمى بالولي : ﴿ فَأَلَّهِ هُوَ الْوَلِيُّ ﴾ {الشورى : ٩} . ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ {البقرة : ٢٥٧} . ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ {الشورى : ٢٨} . ولكن رحمة بعباده ، أبقى للناس :
- النبوة العامة ، التي لا تشريع فيها .

- وأبقى لهم التشريع ، في الاجتهاد ، في ثبوت الأحكام ، وهي وراثية سليمانية ، حيث أعطيت هذه الأمة رتبة سليمان عليه السلام : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ {الأنبياء : ٧٩} .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

- وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال : ﴿ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ (١) .
فإذا رأيت النبي ﷺ ، يتكلم بكلام خارج عن التشريع ، فمن حيث هو ولي ، وعارف .
قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ﴾ فلا شك أن الشرع قد أباح له أن يسن سنة حسنة : ﴿ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا ﴾ (٢) . وهو من جملة ما ورث من الأنبياء . وكيف ينكرون ذلك ؟ وهم يثبتون حكم المجتهد إذا أخطأ وله أجر ، وقد أقره الشرع ، حكم شرعي مقبول .
قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ {البقرة : ٢٥٧} . أي : من العلم بهم ، إلى العلم به .
وولاية العبد ، ربّه ، في قوله : ﴿ إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ {محمد : ٧} .
وكذا فيها ولاية الرب ، لعبده .
والولاية ، هي سر العناية . لا تُنال بحيلة ، ولا تُدرك بطلب .

١- رواه البخاري في صحيحه . وأحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ .

٢- رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير ﷺ . ورواه ابن ماجه عن أبي حنيفة ﷺ . والطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع ﷺ . وقال عنه ابن حجر الهيثمي رجاله موثقون .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

المقدم المؤخر

من أراد أن يحصل علم الله في خلقه ، فليقف عند ترتيب حكمته تعالى في الأشياء ، فيقدم ما قدم الله ، ويؤخر ما أخر الله ، فإذا أخرت ما قدمه ، أو قدمت ما أخره ، فهو نزاع خفي ، يورث حرمانا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ {الكهف : ٢٣-٢٤} . فأخر الاستثناء وقدمه موسى عليه السلام ، في : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ {الكهف : ٦٩} . فلم يصبر ، فلو أخره ، لصبر . فليقف كل مسلم على شعائر الله ، التي بيّنها ولا يتعدها . ألا تراه ﷺ ، لما صعد على الصفا ، في حجة الوداع ، قرأ : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ^ط ﴾ {البقرة : ١٥٨} . ثم قال : ﴿ أَبَدًا ، بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ﴾ (١) . وما قاله إلا تعليما لنا ، ولزوم الأدب مع الله ، ولولا أنه جائز له أن يبدأ بالمروة في سعيه ، لما قال هذا ، ورجح ما بدأ الله به ، على ما في المسألة من التخيير ، فما بدأ الله به إلا لسر يعلمه ، فمن لم يبدأ به ، حُرِمَ فائدته .

١ - أخرجه مسلم والترمذي وصححه وأحمد وابن جرير والبيهقي في سننه والدار قطني في السنن وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

كان رجل بالقيروان أراد الحج ، فتردد خاطره في سفره بين البر والبحر ، فقال : أول رجل ألقاه ، أشاوره ، فحيث يرجح لي ، أحكم به ، فأول من لقي يهودي ، فتألم ، ثم عزم ، وقال : والله لأسأله ، فلما سأله ، تعجب له اليهودي ، وقال : ألم تر أن الله يقول في كتابكم : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ {يونس : ٢٢} . فقدم البر على البحر ، فلولا أن لله فيه سرا - وهو أولى بكم - ما قدمه ، وأخر البحر ، إلا إذا لم يجد المسافر سبيلا إلى البر . فقال الرجل : فسافرت في البر ، فلم أجد سفرا أيسر منه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

الواسع

إثبات الإعادة يعطي السعادة ، فلا تكرار في الوجود ، وإن خفى الشهود ، وذلك لوجود الأمثال ، ولا يعرفه إلا الرجال .

لو تكرر لضاق النطاق ، ولم يصح الاسم الواسع بالاتفاق ، وبطل كون الممكنات لا تتناهى ، ولم يثبت ما كنت به أتباهى . يعني أنه لا تكرار يقع في الكون ، فليس هذا التجلي تكرار لتجل آخر . وإنما مثله ، والمثلية ليست تكراراً .

قال أبو طالب المكي ، عن وسع تجلي الله سبحانه وتعالى :

(لا يتجلى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لاثنين ، ولا يرد منه - بمعنى واحد - كلمتان . بل لكل تجل منه صورة ، ولكل عبد - عند ظهوره له - صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه) .

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ {النجم : ٣٢} . الكل طامع ، والمطموع فيه واسع . أترى هذه السعة تضيق عن شيء ؟ وهي لم تضيق عن الممكنات ؟ إذ كانت في الشر المحض ، وهو العدم . فكيف تضيق عن الممكنات ؟ إذ هي في الخير المحض ، وهو الوجود . وهي في كل موطن بحسب ذلك الموطن ، فأثرها في النار ، غير أثرها في الجنة : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

والغضب شيء وسعته الرحمة ، وحصرته ، وحكمت عليه ، فلا يتصرف إلا بحكمها ، فترسله إذا شاءت ، وتمسكه إذا شاءت ، فمآل الكل إلى الرحمة ، وإن تخلل الأمر آلام وعذاب ، وعلل وأمراض ، فإنما هي أعراض عرضت .
ولسعة الرحمة موطن ، تظهر فيه بصورتها ، ولها موطن تظهر فيه بحكمها ، فعند إقامة الحدود ، تظهر الرحمة بحكمها ، ثم يكون الحد كفارة لصاحبه .
ومن العباد من يبسط رحمة الله على عباد الله ، طائعهم وعاصيهم ، ومنهم من يريد إزالة رحمة الله عن بعض العباد ، ويجبر رحمته تعالى ، التي وسعت كل شيء . وصاحب هذه الصفة ، لولا أن سبقت رحمة الله غضبه ، لما نالته رحمة أبدا ، ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ (١) . أي في النار ، ولم يقل خالدين فيه : أي في العذاب ، فهم خالدون في النار لا في العذاب ، فهم في النار خالدون وفي العذاب إلى أمد الجزاء الوفاق (٢) .
وأهل الجنة يُنعمون إلى أمد الجزاء الوفاق ، ثم ينتقلون إلى نعيم المنن الإلهية ، التي لم ترتبط بأعمال .

١ - وردت في (١٤) موضع في القرآن أولها الآية ١٦٢ سورة البقرة . وآخرها آية ٦ سورة البينة .

٢ - إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لَاطِعِينَ مَنَابًا ﴿١٢﴾ لَيُشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿١٣﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿١٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا ﴿١٥﴾ جَرَاءً وَفَاقًا ﴿١٦﴾ ﴾ {البأ : (٢١ - ٢٦)} .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

إن صاحب النفس - وإن شقي بدخول النار - فهو كمن يشقى هنا بأمراض البدن ، وهو غير مؤثر في شرف النفس ، فهي منفوخة من الروح المضافة إلى الله تعالى بطريق التشريف ، أما رأيته ﷺ : قَامَ لِحَنَازَةِ يَهُودِيٍّ ، فَسُئِلَ ، فَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَتْ نَفْسًا ﴾ ؟ (١) .

ولو دام غضب الله ، لدام الشقاء ، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر ، وأمر تعالى بإقامة الحدود ، فأقيمت ، وإذا أقيمت زال الغضب ، فلم يبق إلا الرضا ، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء .

١- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير عن قيس ابن سعد وسهل ابن حنيف رضي الله عنهما .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

الأول والآخر والظاهر والباطن

قال تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} . إذن فهو الوجود كله .

و(ال) تتضمن عدم مشاركة أحد له في هذه الصفات .

فإذا قلت : (ظاهر) ، يقتضي ظهور غيره ، أما إذا قلت : (الظاهر) يعني عدم ظهور غيره . فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، الظاهر له ، ولك . الباطن عنك ، لا ، عنه . الأول ، بك . الآخر ، إذا كان عينك .

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} . ولا راد لقضاء الله على عباده أن يعبدوا سواه ، أو يروا سواه ، فتجلى لهم في صورة كل شيء .

فما منعنا من رؤيته إلا شدة ظهوره ، وفرط قربه .

فلو تباعد عنا لرأيناه .

ولكنه لو فارقنا ، لانعدمنا .

ففي أسرع من طرفة عين ، نُحْتَلَسُ منه ، إن نظرنا إلى غيره .

لا ، لضعفه ، ولكن لضعفنا .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

قال تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

فالله تعالى هو الظاهر في كل مظهر .

فالظهور شهادة ، والبطون غيب .

فما غاب من العالم عن العالم : فهو غيب ، والقلب من عالم الغيب .

وما شاهد العالم من العالم : فهو شهادة ، وكله لله شهادة وظاهر .

قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ ... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ﴾ (١) .

وفي الحديث الآخر : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ . يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعْمُوكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَطْعَمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ

١- سبق تخريجه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٤ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

ذَلِكَ عِنْدِي . يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقِيكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : يَا رَبَّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ﴿ ١ ﴾ .

فهوية الحق : سمع العبد وبصره وجميع قواه ، فظاهر العبد صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة .

فمن حيث الصورة الظاهرة : هو من جملة من يسبح بحمد الله .

ومن حيث باطنه : فالحق يسبح نفسه بصورة عبده .

فإذا ذكر العبد ربه : فالله تعالى هو الذكر والمذكور ، والذاكر نفسه بعبده ، والمجموع ، هو العبد .

أثنى عليَّ عبدي : أي أثنت على نفسي في صورة عبدي .

فالله له الظهور في المظاهر ، تجليا ، لا ذاتيا .

إذ أن ذاته تعالى جلت عن التقييد في الأغراض بل لها الإطلاق التام .

كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة .

وفرق بين من يقول : علمت . ومن يقول : عاينت . وهم أهل الليل

١ - أخرجه مسلم في صحيحه والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات والبخاري في الأدب

وابن حبان في صحيحه وابن راهويه والطبراني في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

خاصة . والليل من حضرة الباطن ، فإن الله جعل الليل لأهله ، مثل الغيب لنفسه ، فهم خير عصابة في حق الله ، وهم شر فتية في حق أنفسهم ، فأهل الليل فازوا بهذه الخطوة ، في تلك الخلوة ، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه ؟ يقول الله في حقه : فأنا أتلو كتابي عليه بلساني ، وهو يسمع . فإذا وقف مع معانيه ، فقد خرج عني بفكره .

أوقفني بين يديه ، وقال : الليل لي ، لا للقرآن يُتلى .

فهذا العبد ، إذا طلع الفجر ، ومشى إلى معاشه ، فتحت بيني وبينه بابا في خلقي ، ينظر إلي منه ، والخلق لا يشعرون ، فأحدثه على ألسنتهم ، وهم لا يعرفون .

فالظاهر ، هو : الذي ليس بغيره ظهور .

فالله عين وجود الأشياء ، لا عين الأشياء .

فتراه تعالى يدخل نفسه ، تحت حكم الأحكام التي شرعها لعباده ، من وجوب وحظر ، وندب وكراهية وإباحة : ﴿ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ﴾ (١) .

فأول ظهور له تعالى ، كان بالأسماء .

١ - رواه مسلم في صحيحه وأحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وأول من تحمل هذه الأسماء تخلقا وتعلقا وتحققا ، هو : رسول الله ﷺ وهذا هو الإنسان الكامل .

فمن نظر إليه ، فكأنما نظر إلى الله تعالى .

فتعرّف تعالى إلى خلقه برسوله ﷺ .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ {الفتح : ١٠} .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ {النساء : ٨٠} .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ {الأنفال : ١٧} .

وصح عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : ﴿ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ﴾ ؟ قالوا :

بلى . قال : ﴿ خِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ ﴾ (٢) .

١- رواه أحمد في مسنده ومتفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي قتادة ؓ . وأحمد

والبخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ . وأحمد عن أبي هريرة ؓ . وابن ماجه عن أبي

جحيفة وحذيفة ؓ . ورواه الطبراني في الأوسط والكبير عن عبد الله ابن عمرو ؓ .

وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

٢- سبق تخريجه ص ١٢ ، ١٩ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

فالله تعالى له التجلي التام ، في روحه ﷺ ، وفي أرواح ورثته من العلماء والأولياء . فمن أطاعهم فقد أطاعه تعالى ، ومن بايعهم فقد بايعه تعالى ، ومن رآهم فقد رآه تعالى .

ثم إن العلماء ورثة الأنبياء ، فمنهم من ورث علمهم ، ومنهم من ورث أحوالهم ، ومنهم من جمع الله له بين العلم والحال ، فمن رأى هؤلاء فكأنما رأى الله تعالى .

وصح عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه ﷺ ، فقالت : ﴿ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﴾ (١) . فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ، ممن لم يدركه من أمته ، فلينظر إلى القرآن . فإذا نظر فيه ، فلا فرق بين النظر إليه ، والنظر إلى رسول الله ﷺ .

والقرآن صفة الله تعالى ، فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى ، فيكون محمد ﷺ

١- رواه البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يزيد بن بابتوس عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأحمد وأبو داود وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن سعد بن هشام عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وأخرجه ابن مردويه عن زينب بنت يزيد بن وسق عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

ما فُقدَ من الدنيا ، فمن تخلق بالقرآن ؛ فقد بعث محمدا ﷺ من قبره ، قال تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ {الحجرات : ٧} .

﴿السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ (١) . تقولها في التشهد بضمير المخاطب ، والمخاطب لا يخاطب غائبا .

ولما : ﴿خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾ (٢) : فله الثبوت في ظاهره ، والتنوع في باطنه .

والله تعالى : (الظاهر الباطن) .

فله الثبوت في باطنه ، والتنوع في ظاهره .

١ - حديث التشهد رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود ﷺ . ومسلم عن ابن عباس ﷺ . وأحمد ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري ﷺ . والموطأ والبيهقي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها . وفي الموطأ والبيهقي عن عمر ﷺ . وغيرهم كثير .

٢ - سبق تخريجه ص ٢٣١ ، ٢٩٢ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

* فالباطن - الحق - عين ظاهر الإنسان *

* والظاهر - الحق - عين باطن الإنسان *

* فهو كالمرآة : إذا رفعت يمينك ، رفعت صورتك يسارها *

* فيمينك ، شمالها . وشمالك ، يمينها *

* فظاهرك أيها الإنسان ، على صورة اسمه الباطن *

* وباطنك ، على صورة اسمه الظاهر *

* فأنت ، صورته *

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

قال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ^ع ﴾ { الأنفال : ١٧ } . وهو القاتل .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ^ع ﴾ { الأنفال : ١٧ } . وهو الرامي .

وقال تعالى : ﴿ سَرَّيِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَّيِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ^ع ﴾ { النحل : ٨١ } . وهو الواقي .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ^ط ﴾ { البقرة : ٢٥٧ } . أي من العلم بهم ، إلى العلم به . وعلما به فرع عن علما بنا ، إذ نحن عين الدليل عليه : ﴿ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ ^ع ﴾ (١) . كما أن وجودنا فرع عن وجوده ، ووجوده أصل لنا ، فهو أصل في وجودنا ، فرع في علما به تعالى .

وتحقيق ما سبق ، هو موقف السواء . وموقف السواء : أن يتساوى عند الحضرتين القديمة والحديثة ، فمن هذا قال بالاتحاد من قال ، ومن هنا يترقى العارفون إلى الكمال ، أو يحط بهم إلى الطرد والإهمال ، فيظهر العبد في هذا الموقف بصورة الرب .

١ - سبق الكلام عنه ص ٣٠٨ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

فالإنسان ، وإن كان يرى في نفسه أنه عبد ضعيف ، تؤلمه قرصة البعوضة ، ومع ذلك فإنه يظهر بالرياسة ، لما عليه صورته التي خُلِقَ بها ، فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على الصورة ، عن الفقر والذل والعبودية . فإن لم يمن الله على هذا العبد بالعصمة والحفظ - حيث يضع عبوديته أمام عينيه - وإلا زَلَّتْ قدمه ، فهو مقام : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ { الأنفال : ١٧ } .

فموقف السواء : هو المقام الذي لا يتميز فيه سيد من عبد ، ولا عبد من سيد ، فإن قلت فيه في هذه الحالة سيد ، صدقت . وإن قلت عبد ، صدقت . فكونه ، رمى ، حق . وكونه ، لم يرم ، حق ، لقوله تعالى : ﴿ كُنْتُ يَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ﴾ (١) .

واعلم أن للحق في كل خلق ظهورا ، فهو الظاهر في كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم . وما عُبدَ شيء في العالم ، إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد ، والظهور بالصورة في قلبه ، وأعظم مجلى عُبدَ فيه ، وأعلاه : الهوى ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ { الجاثية : ٢٣ } . وهو أعظم معبود ، وأكثر تابعا . وإنما لا يعبد شيء إلا به ، ولا يعبد هو إلا بذاته ، حتى عبادة الله تعالى كانت هوى أيضا ، لأنه لو لم يقع له

١- سبق تخريجه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٤ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

هوئى في الجنب المقدس - وهي الإرادة بالمحبة - ما عبد الله ، ولا آثره على غيره . وكذلك كل من عبد صورة من صور العالم ، واتخذها إلها ، ما اتخذها إلا بالهوى . فكل عابدٍ أمراً ما ، يُكفّر من يعبد معبودا سوى معبوده .

والذى يحير العقول : هو اتحاد الهوى ، بل أحديته ، فإنه عين واحدة في كل عابد ، ولذلك سموه كلهم إلها ، ولذلك قال الكفار : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجْتَبٍ ﴾ {ص : ٥} . فما أنكروه ، ولكن تعجبوا من ذلك ، ولذلك قامت الحجة عليهم ، بقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ {الرعد : ٣٣} . فسيقولون : هذا حجر ، وهذا شجر . فأين الله إذن في ما عبدتم ؟ .

عن أبي يزيد قال :

رأيت الهوى ، في بعض مكاشفاتي ، ظاهرا بالألوهية . جالسا على عرشه ، جميع عبادته حافون من حوله ، فما وجدت معبودا أكثر عابدا منه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

* فبالهوى ، يُجْتَنَب الهوى *

* وبالهوى ، يُعْبَد الهوى *

* ولولا الهوى ، ما هوى ، من هوى *

* ولذلك حاز جنة المأوى ، من نهى نفسه عن الهوى *

* وحق الهوى ، إن الهوى ، سبب الهوى *

* ولولا الهوى في القلب ، ما عُبد الهوى *

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وكل من عبد شيئاً سوى الله ، فإنه محجوب بوصف ، دون سائر الصفات .
فمنهم من عبد الجمال حيث رآه ، وترك باقى الصفات .
ومنهم من عبد الشمس ، لتجلي الله فيها بالدفء .
ومنهم من عبد البقر ، لتجلي الله فيها بالخير .
فمن لم يعبد الله تعالى على جميع صفاته ، فلا حجة له في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ {النساء : ١٩} .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ {البينة : ٥} .

وأعظم ظهور لله تعالى ، هو تجليه في المرأة للرجل ، وفي الرجل للمرأة ، فقد
صح أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ ؛
لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا ﴾ (١) .

وذلك أن الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا ، حبا له ، وتوددا إليه ،
فهو الودود . ثم نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا لنفسه ، ثم اشتق له منه

١- أخرجه البزار والحاكم والبيهقي في سننه والترمذي وابن حبان والحكيم الترمذي في نوادر
الأصول والنسائي عن أبي هريرة ؓ ، وأخرجه الحاكم وصححه عن بريدة ؓ ، وأخرجه
أحمد والنسائي عن أنس ؓ ، وأخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أم المؤمنين السيدة
عائشة رضي الله عنها ، وأحمد عن معاذ ابن جبل ؓ ، وصححه السيوطي . وأخرجه أبو
داود من حديث قيس ابن سعد ؓ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

شخصاً على صورته ، سماه امرأة ، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة ، بأنه خلقه بيديه ، ثم خلق منه المرأة ، فالرجل بالأصالة ، والمرأة بالتبعية : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ {البقرة : ٢٢٨} . ولذلك سُمُوا نساءً من النساء وهو التأخر ، أي لتأخر خلقهن عن الرجال ، ولذلك يُنْضَح بول الصبي ويُغَسَّل بول الجارية ، ما لم يطعما . فظهرت هذه المرأة بصورة تشبه صورته ، فحنَّ إليها حنين الشيء إلى نفسه ، وحنَّت إليه حنين الشيء إلى وطنه ، وكان الله تعالى قد حنَّ إلى هذا الرجل الذي نفخ فيه من روحه ، حنين الشيء إلى نفسه ، وحنَّ هذا الرجل إلى ربه حنين الشيء إلى وطنه . فإذا نظر الرجل إلى المرأة ، تذكر نظر الله إليه ، وإذا نظرت هي إليه ، تذكر نظرتة إلى ربه ، ومن هنا حُبَّ إلى رسول الله ﷺ النساء ، عن تحب ، لا عن حب .

● عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ﴿مَا أَصَبْنَا مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ إِلَّا نِسَاءَكُمْ﴾ (١) .

● عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْخَيْلِ . ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ غُفْرًا ؛ لَا بَلَّ النِّسَاءُ﴾ (٢) .

١ - رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢ - أخرجه ابن سعد وأحمد في مسنده عن معقل بن يسار رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

• عن أنس رضي الله عنه قال : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ النِّسَاءِ مِنَ الْحَيْلِ (١) .

• عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ ﴾ (٢) .

وهذا هو الرجل الكامل .

أما الرجل الحيوان : فينظر إلى المرأة على أنها شهوة عاجلة فقط . انظر إلى دقة قوله تعالى ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ {البقرة : ٢٢٨} . فالرجولة درجة ، أما الذكورة فنوع . فكلمة (رجال) لم تستعمل في القرآن إلا لبيان المزية :

قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ {الأحزاب : ٢٣} .

وقال : ﴿ رِجَالٌ لَا نُلْحَمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ {النور : ٣٧} .

وقال : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ ﴾ {الأعراف : ٤٦} .

١- رواه النسائي وأبو عوانة وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ والتبريزي في مشكاة المصابيح والمنذري في الترغيب والترهيب عن أنس رضي الله عنه .

٢- أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

فأحب رسول الله ﷺ النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً .

ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة بها ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية ، أعظم وصلة من النكاح ، ولذلك فنى الرجل في زوجته ، وفنيت فيه ، حال الجماع ، ولذلك أمر الله تعالى بالاغتسال ، لتعم الطهارة كما عم الفناء ، وهذا للمحجوبين : ﴿ إِنَّ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةٌ ﴾ (١) . وهي جنابة الغفلة عن الله .

أما أهل الفتح والكمال ، فهم أقرب ما يكونوا إلى الله تعالى في تلك الحالة ، لصفاء مشهدهم ، وكمال معرفتهم ، فاغتسلهم أمر تعبدي ، للقيام بظاهر الشرع ، لا لاستغراق شهودهم في غير الله ، فمن أحب النساء على هذا الحد ، فهو حب إلهي ، ومن أحبهن على جهة الشهوة ، فهو صورة بلا روح .

واعلم أنه لا يستغرق الحب ، الحب كله ، إلا إذا كان محبوبه الحق تعالى ، أو أحداً من جنسه هو ، من جارية أو غلام ، وأما ما عدا من ذكرته ،

١ - رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ؓ . ورواه البيهقي وابن ماجه والطبراني والضياء وابن جرير عن أبي أيوب ؓ . وابن جرير عن أنس ؓ مرفوعا . وابن جرير عن أبي الدرداء وعن حذيفة وعن أبي هريرة ؓ موقوفا عليهم . وابن جرير عن الحسن ؓ مرسل .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

فلا يستغرقه حبه إياه ، لأن الإنسان لا يقابل بذاته كلها ، إلا من هو على صورته إذا أحبه ، فما فيه جزء إلا وفيه ما يماثله فيهم ، ظاهره في ظاهره ، وباطنه في باطنه ، فإذا أحب الإنسان صورة من العالم ، إنما يستقبله بالجزء المناسب ، ويبقى ما بقى من ذاته ، صاحبة في شغلها .

وأما استغراق حبه ، إذا أحب الله ، لكونه على صورته ، فيستقبل الحضرة الإلهية بذاته كلها ، ولهذا تظهر فيه جميع الأسماء الإلهية ، ويتخلق بها . فالنساء هن محل الانفعال ، لتكوين أتم صورة ، وهي الصورة الإنسانية ، التي لا صورة أكمل منها .

ولذا ، فقد امتن الله على رسوله ﷺ ، بأن حبب إليه النساء ، فحبه ﷺ لهن عن تحبب ، لا عن حب ، أي عن مشاهدته ﷺ لهذا التجلي الإلهي فيهن .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

الرحمن الرحيم

فالرحمن : هو رحمة الامتنان : وهي رحمة ذاتية : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . حتى وسعت أسماءه ، فلا يخلو عنها شيء ، حتى العدم وسعته ، فأوجدته ، فصارت مرتبة العدم معروفة موجودة : ﴿سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾ (١) . وهي رحمة تحصل من الله ، بدون مقابلة عمل ، بل عناية سابقة ، كإعطاء الوجود ، والقدرة ، وغيرها .

والرحيم : هي رحمة الوجوب ، وهي رحمة صفاتية : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . فدخل الرحيم في الرحمن ، دخول تضمين ، يعني دخول الخاص تحت العام : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ {الأنعام : ٥٤} . وهي تحصل بمقابلة عمل ، كإعطاء الثواب على الأعمال

١- أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه . وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه . وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الإبانة والديلمي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه . وبلغظ : ﴿رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي﴾ أخرجه عبد الرزاق والفريري وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

في الجنة ، يعني أن العبد من حيث إنه عبد يجب عليه إتيان أوامر مولاه ، فلا تجب الرحمة على المولى في مقابلة شيء ، فإذا أوجب المولى على نفسه ، لعبده شيئاً ، في مقابلة عمله ، يستحق العبد ذلك الشيء بسبب عمله ، فوصول ذلك الشيء للعبد من المولى ، امتنان وعطاء محض .

ولذا قالوا : الجنة فضل إلهي ، فلا يستحقها العبد إلا بفضل الله .

فكان وجوب الرحمة ، من وجوب الامتنان . فامتن بالرحمن ، وأوجب بالرحيم . حتى العذاب ، فإن الله تعالى يعذب رحمة لغضبه ، ليزول الغضب ، وتشمل الرحمة من حقت عليه كلمة العذاب ، فبرحمته عذب من عذب ، لأنه لولا العذاب ، لتسرمد الغضب ، وهو أشد من العذاب .

وهكذا العارفون ، فقال تعالى في الخضر : ﴿أَتَيْنَتْهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ {الكهف : ٦٥} . فقدم الرحمة على العلم ، لذا ترى الخضر ، ما قتل الغلام إلا رحمة به وبأبويه ، لأنه لو عاش لدخل النار بكفره ، أما إذا مات صغيراً فهو إلى الله : إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له .

وما دعا رسول الله ﷺ على رعل وذكوان ، إلا رحمة لهم ، حتى لا يزدادوا كفراً وعناداً ، حتى ينفذ غضبة الله فيهم ، فلا تتصرف فيهم مرتبته ،

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه

ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : ﴿يَتَأَبَّتْ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ {مریم : ٤٥} . فكأن العذاب من حضرة الرحمة برز . ولما استوى الحق تعالى على عرشه ، الذي هو محيط بالوجود كله ، استوى باسمه الرحمن . وقلب العارف ، هو من رحمة الله تعالى ، وهو أوسع منها ، فعن أبي عتبة الخولاني رفعه : ﴿إِنَّ لِلَّهِ آيَةً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَآيَةً رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ﴾ (١) ، وفي الحكم : ﴿مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ﴾ (٢) . فقلب العارف - أي روحه - وسع الحق تعالى . ورحمته لا تسعه - جل جلاله - فالحق راحم ، ليس بمرحوم ، فلا حكم للرحمة فيه ، فيكون القلب أوسع .

قال أبو يزيد البسطامي رحمته الله : لو أن العرش ومثله ألف ألف مرة ، في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به .

وذلك لأن القلب بيت الله تعالى ، فقلب وسع القديم ، كيف يحس بالحدث ؟ . فإن المحدث إذا قرن بالقديم ، لم يبق له أثر .

١ - رواه الطبراني وقال الهيثمي : إسناده حسن .

٢ - هذا الحديث مما يرويه السادة الصوفية كشفا . وقريب منه ما رواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه قال : إن الله فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا رب ، فقال الله تعالى : إن السماوات والعرش ضعفن عن أن يسعني ، ووسعني قلب المؤمن الوديع اللين .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

وفي المنازلات : من جعل قلبه بيتي ؛ وأخلاه من غيري ، ما يدري أحد ما أعطيه ، فلا تشبهوه بالبيت المعمور ، فإنه بيت ملائكتي ، لا بيتي ، ولذلك لم أسكن فيه خليلي إبراهيم ، بل جلس سائدا ظهره إليه ﷺ ، وما دخله (١) .

فالعارفون : كما هم اليوم ، يكونون غدا . أجسامهم في الجنان ، وقلوبهم في حضرة الرحمن .

وبهذا القلب ، كانت أمة رسول الله ﷺ خير الأمم . لأن ما كان في قلبها من الأمم شهادة ، فهو فيها غيب .

فالسكينة ، نزلت في تابوت طالوت : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ {البقرة :

٢٤٨} . وهي في قلوب المؤمنين من هذه الأمة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ {الفتح : ٤} . لا يدركها إلا أهل الأذواق من هذه الأمة

١ - قال رسول الله ﷺ : ﴿...ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ . قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ . قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ . قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ رواه مسلم في صحيحه والنسائي في السنن الكبرى وأبو يعلى وابن منده عن أنس بن مالك ﷺ . ورواه الطبري في تهذيب الآثار والبيهقي في الدلائل والآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

فكل صفات الأمم ، كانت أجنبية عنهم . أما علامة هذه الأمة ، ففي قلوبهم . ولذلك قيل لهذه الأمة : ﴿ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَلَوْ أَفْتَوَكَ ﴾ (١) .

وورثة الأنبياء السابقين يعرفهم الخاص والعام ، أما وارث رسول الله ﷺ - فلأن سره في قلبه ، ولا يظهر على ظاهره منه شيء - فلا يعرفه إلا الخاص ، لأن خرق عادته : إنما هو حال وعلم في قلبه ، فهو في كل نفس يزداد علما بربه ، ناتج من الطمأنينة التي يجدها فيه .

ألا ترى رسول الله ﷺ ، كيف أسري به إلى المقام الذي عرفت ، فلما خرج ﷺ على الناس بكرة تلك الليلة ، أنكر بعض الصحابة ، لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر عليه ﷺ .

وموسى ﷺ ، لما جاء من عند ربه ، كساه الله تعالى نورا على وجهه ، يُعرف به صدق ما ادعاه .

١- أخرجه أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والدارمي والطبراني وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن وابصه بن معبد رضي الله عنه . وقال النووي : حسن .

الكنز الثاني _____ الإيمان بما سمى الله تعالى به نفسه

* فمن جعل الله آيته في قلبه *

* وكان على بينة من ربه *

* كساه الله الصفة الحجابية *

* غيرةً منه ، عليه *

* فقد ملأ يديه من الخير *

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

فمن صفاته تعالى :

الجلال والجمال

قال ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ ، يُحِبُّ الْجَمَالَ ﴾ (١) ، فليس بين الله وبين خلقه إلا الجمال المحض .

إذ لو نطق ناطق العز والجلال : لصمت نواطق كل وصف ، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ، ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم .

فهو تعالى : جميل الجمال المطلق ، ويحب الجمال في كل شيء ، فما استوى على عرشه ، إلا بأسماء الجمال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ { طه : ٥ } .

١- رواه مسلم في صحيحه وأحمد والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو عوانة وابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ . وأحمد والبيهقي عن أبي ربحانة ﷺ . وأحمد عن عقبة بن عامر ﷺ . والحاكم عن عبد الله بن عمرو ﷺ . والطبراني عن أبي أمامة ﷺ . والطبراني عن ابن عمر ﷺ . والطبراني عن قيس بن زيد الجهني ﷺ . والطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ . والبيهقي وأبو يعلى عن أبي سعيد ﷺ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ {التغابن : ١٦} ، هذه آية فيها جلال الجمال ، فمن قرأها انقبض ، حيث أيأسهم تعالى من أن يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته ، ثم بسطهم بقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ {آل عمران : ١٠٢} . فأعطاهم الأمل أن هذا الإنسان يستطيع أن يصل إلى تقوى الله الكاملة . فعاملهم فيها بجمال الجمال ، إذ عاملهم في الأولى بجلال الجمال . وتراه يقبضهم بجلال قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ {الجن : ٢٨} . ثم يسطهم بجمال قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ {الصفات : ١٤٧} .

والجمال ينقسم إلى : جمال الجمال ، وجلال الجمال . والجلال لا ينقسم ، بل هو جلال محض . وهذا الجلال المحض لا يظهر أثره في الكون أبدا ، إذ لو ظهر لامتحق الوجود ، وانعدم كل موجود . أما ما يظهر في العوالم بما في ظاهره جلال ، إنما هو جلال الجمال . وهو جلال منبعه الجمال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ ﴾ {مریم : ٤٥} . فحتى العذاب هو من الرحمن .

فلم يعامل الله تعالى أحدا من خلقه إلا بجماله ، والحمد لله .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ﴾ (١) . وهو تعالى صانع العالم وموجده ، وأوجده على صورته ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن والجمال كله .

فالعالم كله جماله ذاتي ، وحسنه عين نفسه ، إذ صنعه صانعه عليه ، ولهذا هام فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون ، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، فإنه تعالى ما كثر لنا الآيات في العالم ، وفي أنفسنا ، إلا لنصرف نظرنا إليه ، ذكراً وفكراً وعقلاً ، وإيماناً وعلماً ، وسمعاً وبصراً ، ونهىً وإثباتاً . وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه ، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدة وعقلاً .

١ - تقدم تخريجه ص ٢٩٢ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

فإن نظرنا ، فإليه . وإن سمعنا ، فمنه

وإن عقلنا ، فعنه . وإن فكرنا ، ففيه

وإن علمنا ، فإياه . وإن آمنا ، فبه

فهو المتجلي ، في كل وجه . والمطلوب ، من كل آية

والمنظور إليه ، بكل عين . والمعبود ، في كل معبود

والمقصود في الغيب والشهادة . والمحبوب في عين كل محب

فجميع العالم ، له مُصَلٍّ . وإليه ساجد . وبحمده مسبح

فاللجنة ، به ناطقة . والقلوب ، به هائمة عاشقة

والألباب ، فيه حائرة

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الرحمة

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ {العنكبوت : ٤}

﴿ أَنْ يَسْبِقُونَا ۚ ﴾ : أي يسبقون بسيئاتهم مغفرتي ، وشمول رحمتي .

﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ : بل السبق لله بالرحمة لهم .

هذا غاية الكرم .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الغيرة

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ { الأنعام : ٣٦ } .

أخبر تعالى أنه ما استجاب إلا من سمع .

فوجد العذر من لم يسمع ، كما وجد العذر من لم تبلغه الدعوة الإلهية .

وما أقام الله العذر عن عباده ، إلا وفي نفسه أن يرحمهم .

وهذا من حكم الغيرة الإلهية على الألوهية ، أن يقاومها أحد من عباده .

إذ لو علم أنهم سمعوا ، وما استجابوا ، لعظمهم في أعين الناس .

وجعلهم في مقام المقاومة له .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الجود

قال تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ {المائدة : ٦٤} .

هي أرجى آية .

فاليدان مبسوطتان .

أي مبسوطتان بالرحمة .

انبسطتا بما يجود به الحق .

فمنه بدأ الجود ، وإليه يعود .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الإيمان بوجه الله تعالى

قال تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

فسبحان من له عين في كل أين .

الله قبلة القلوب والأرواح ، والكعبة قبلة الأجسام والأشباح .

لوجه الله تعالى ظاهر وباطن :

■ ظاهره : الإخلاص : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ {الأنعام : ٥٢ ، الكهف : ٢٨} . ﴿ إِنَّمَا

نُطِيعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ {الإنسان : ٩} . ﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهِهِ الْأَعْلَى ﴾ {الليل : ٢٠} .

■ وحقيقته وباطنه : هو بارق أنوار التوحيد : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

ءَاخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ {القصص : ٨٨} .

فأينما توجه المخلصون ، قدح نور التوحيد فيهم ومنهم .

ولوجه الله - تعالى شأنه - رداء وحجب وسبحات :-

○ فأما رداؤه فالكبرياء ، والرداء ما حجب القلب عن رؤية الرب ، وهل

غير أن يكون في قلبك كبرياء لغير الله ، فأهل الجنة ليس لهم مانع من

نعيم الرؤية ، وشهود نور التوحيد إلا رداء الكبرياء . قال رسول الله ﷺ :

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

﴿ مَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ؛ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ﴾ (١) . فمن كبر في قلبه ، شيء غير الله ، من عرف أو تحف أو حور أو مأكول ، حجب عن الله تعالى . ومن عرف الله تعالى ، صغر عنده كل شيء ، فارتفع عن بصره رداء الكبرياء لكل شيء ، فشاهده تعالى في كل شيء .

أما تراك تفتتح الصلاة بالتكبير ؟ .

○ وأما حجابها : فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :

﴿ ... حِجَابُهُ النَّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأُحْرِقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ﴾ (٢) . وأيًا كان التعبير

عن الحجاب بالنور أو بالنار فهو عندنا صحيح وله ما يؤيده :

- فالنور : لأهل الجمال ، كما تبدى لرسول الله ﷺ . فقد سُئِلَ

ﷺ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : ﴿ رَأَيْتُ نُورًا ﴾ (٣) .

١ - أخرجه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن

المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

٢ - رواه مسلم في صحيحه (واللفظ له) عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ : لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ . فَقَالَ : عَنْ أَيِّ شَيْءٍ

كُنْتَ تَسْأَلُهُ ؟ . قَالَ : كُنْتُ أَسْأَلُهُ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : قَدْ سَأَلْتُ ، فَقَالَ : ﴿ رَأَيْتُ

نُورًا ﴾ . رواه مسلم في صحيحه وأبو عوانة وابن حبان في صحيحه .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

- والنار : لأهل الجلال ، كما وقع لموسى عليه السلام قال : ﴿ إِنِّي

ءَأْسَنْتُ نَارًا ﴾ { طه : ١٠ ، النمل : ٧ ، القصص : ٢٩ } .

وهذا رسول الله ﷺ يقول : ﴿اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا﴾ إلى أن قال : ﴿واجعلني نورًا﴾ (١) .

طلب من ربه أن يجعله من جميع الوجوه نوراً دالاً ، وحجاباً يتنعم برؤيته من أراد التنعم بحسن النظر إلى الله .

قال رسول الله ﷺ : ﴿الصَّلَاةُ نُورٌ﴾ (٢) والله من أسمائه النور ، فأقام الصلاة مقامه . من دخلها بالتكبير ، ارتفع عنه الرداء . ومن دخلها بالحب والشوق ، زال عنه الحجاب ، وكان مع الأحباب : ﴿أَرْحَنَّا بِهَا يَا بَلالُ﴾ (٣) .

○ أما سبحات وجهه جل جلاله : ﴿لَوْ كَشَفَهُ ؛ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ﴾ (٤) . والسبحات : جمع سبحة ،

١- أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد وأبو عوانة والطيالسي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، برواية النضر عن شعبة .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، والبيهقي وابن ماجه والقضاعي وابن عساكر وأبو يعلى والديلمي عن أنس رضي الله عنه . وقال العامري : صحيح .

٣- أخرجه الدارقطني من حديث بلال رضي الله عنه . وأبو داود من حديث رجل ، وقال الهيثمي : صحيح .

٤- سبق تخريجه ٣٦٢ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

والسبحة ما يتطوع به : من ذكر وصلاة وتسبيح ، فأنوار الطاعات هي سبحات وجهه جل جلاله ، ما دمت تشهد ذكرك لربك . فوجه ربك متجل عليك في حجابه بسبحة ذكرك ، ولا تزال تذكره ، ويذكرك : ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ {البقرة : ١٥٢} ، وذكره لك يبعدك عن شهود نفسك ، ونسبتك إلى العدم ، ويقربك من شهود توحيد ربك ، ونسبتك إلى القَدَم ، حتى ينكشف حجاب ذكرك له ، وتتجلى لك سبحة ذكره لك فتحرق نسبة الأفعال والأذكار لك ، وتظهر نسبتها له جل جلاله : ﴿ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ﴾ (١) .

فالإحسان : ﴿ اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ﴾ (٢) ، فأنت لا تشهد رؤية الله لك ، حتى تغيب عن صفتك ورؤيتك ومراقبتك ، فكل عبادة تصحبها المراقبة ، فهي نور من حجب وجه الله ، تنظر أنت منه إليه ، وينظر هو منه إليك فإن رفعت حجاب المراقبة من بينكم شهدت رؤيته لك ، فانتهاء بصره هو من حيث كشفك وبصيرتك ، لا من حيث بصره ، فإن بصره لا نهاية له .

١- سبق تخريجه ص ١٦ ، ٥٠ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٤ .

٢- سبق تخريجه ص ١٥٠ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

رؤية العباد لربهم يوم القيامة ، مختلفة النعيم :

فكل يراه في صورة عمله ، على حسب مراقبته ، وإخلاص توجهه إليه ،
وصدقه في إقباله عليه . وتلك الصور حقائق آيات أسمائه وصفاته وأخلاقه
تعالى ، فما من آية منها تَخْلُقُ بها العبد في الدنيا : إلا وقد تعرف الله تعالى
إليه بها .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿...فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ :
أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَنَا
رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ .
فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ﴾ (١) .

أما قوله : ﴿فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ﴾ ، أي في ظلة آيات
العذاب ويظهر الأعمال السيئة .

﴿فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَنَا رَبُّنَا
عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ﴾ ، أي في مظهر أعمال البر ،
وظلة صفة الرحمة والنبوة ، التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهوى والعلم .
﴿فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتَّبِعُونَهُ﴾ (١) .

١ - رواه البخاري في صحيحه وأحمد وعبد الرزاق والنسائي في السنن الكبرى وابن حبان وابن

منده والدارقطني والدارمي وابن أبي عاصم ومعمّر بن راشد عن أبي هريرة ؓ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

ووجه الله هنا : هو نور التوحيد ، وعبر بالقمر والشمس ، لاختلاف درجة الرؤيتين .

والسحاب هنا : هو سحاب الأعمال ، وظلل غمام الشرائع .

بل هو أقرب إليهم من أعمالهم .

أخطأ من قال : ما دام في بشريته ، فالكلام له من وراء حجاب .
ولكن إذا ارتفع حجاب البشرية ، فخلفه حجب أخرى .

ويقع الكلام من الله لهذا العبد خلف حجاب آخر ، فالبشرية حجاب لا يرتفع أبدا ، ولكن يسترك الله عنه .

■ اعلم أن أعظم العذاب ، هو الحجاب عن الله .

■ واعلم أن من لم ير الله تعالى ، فلا علمه نفع ، ولا جهله ارتفع .

■ واعلم أن من وراء الحجاب ، لا يدعو الله إلا بكشف الحجاب ، فهذا هو فرضه ونفله .

■ واعلم أن من لم يره في الدنيا ، لا يراه في الآخرة .

■ واعلم أن الكشف والمشاهدة : هو جنة الجنة ، والحجاب : هو نار النار .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

- واعلم أن الله تعالى لم يرضك إلا لرؤيته ، فلا ترضى لغيبته .
- واعلم أن منهم من يراه ، ويحجبهم برؤيته ، عنهم .
- واعلم أن من مات ، انقطع ذكره لله ، ولا ينقطع ذكر الله له .
- واعلم أن من رأى وجه الله ، استوى عنده الكشف والحجاب .
- واعلم أن العلم - على من رأى وجهه جل جلاله - أضر من الجهل ، على من لم يره .
- واعلم أن الحسنه بعشر ، لمن لم يره ، وهي سيئة لمن رآه .

ما أطف هذه الحجب ، وما أخفاها . قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} . مع وجود الحجب التي تمنعنا من رؤيته ، في هذا القرب العظيم ، وما نرى لهذه الحجب عينا ، فهي أيضا محجوبة عنا ، نعم يارب : ما نبصرك ولا نبصر الحجب فنحن خلف الحجاب ، وأنت منا بمكان الوريد ، أو أقرب إلينا منا :

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

* والله غير محدود بحجاب ولا بغيره ، إلا أن يكون هو عين الحجاب *

* فما احتجبنا عنك إلا بك ، وما احتجبت عنا إلا بشدة ظهورك *

* وكيف نحتجب عنه ، ونحن مظهر من مظاهر ظهوره !! *

قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجْبِ إِلَّا زَهَقَتْ ﴾ (١) .

فحجب النور من اسمه الظاهر ، وحجب الظلمة من اسمه الباطن .

وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات ، بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات .

١ - أخرجه أبو يعلى والرويانى والطبرانى والبيهقى في الأسماء والصفات وابن أبي عاصم ، عن سهل بن سعد وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ وأورده بن حجر في المطالب العالية . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى ﷺ بلفظ : ﴿ ... حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ﴾ . ولا بن ماجه " شيء أدركه بصره " . ولفظ : قال رسول الله ﷺ : ﴿ يا جبريل ، هل ترى ربك ؟ قال : إن بيني وبينه سبعين ألف حجاب من نور أو نار ، لو رأيت أدناها لاحتَرَقْتُ ﴾ رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان عن أنس بن مالك ﷺ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

فاختلفت الصفات على الظاهر ، لأن الأعيان التي ظهر فيها مختلفة .

فتميزت الموجودات ، وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها .

فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان .

وما في العدم شيء ، إلا أعيان الممكنات مهياة للاتصاف بالوجود .

وحجب النور : هي حجب الروح .

وحجب الظلمة : هي حجب النفس ، فلا تخلص إليه تعالى إلا بعد اختراق

حجب النفس الظلمانية .

فإذا جزّتها ، وقعت في حجب الروح النورانية .

فالنفس - وإن كانت مطمئنة - فهي حجاب .

والروح - وإن صفت - فهي حجاب .

وليس ثم إلا الإطلاق : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

الكلام

- ورد في الحديث القدسي : ﴿ ذَلِكْ بِأَنِّي وَاحِدٌ ، عَذَابِي كَلَامٌ ، وَرَحْمَتِي كَلَامٌ ﴾ (١) .
- وورد أيضا في الحديث القدسي : ﴿ أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، رِضَائِي كَلَامٌ ، وَغَضَبِي كَلَامٌ ، وَرَحْمَتِي كَلَامٌ ، وَعَذَابِي كَلَامٌ ﴾ (٢) .

١- رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن أبي موسى رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ ، وَضَعِيفٌ إِلَّا مَنْ قَوَّيْتُ ، وَفَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ ، فَسَلُونِي أُعْطِيَكُمْ ، فَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبُكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبٍ اتَّقَى عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي ، مَا زَادُوا فِي مُلْكِي جَنَاحَ بُعُوضَةٍ ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ ، وَرَطْبُكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبٍ أَفْجَرَ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي هُوَ لِي ، مَا نَقَصُوا مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بُعُوضَةٍ ، ذَلِكَ بِأَنِّي وَاحِدٌ ، عَذَابِي كَلَامٌ ، وَرَحْمَتِي كَلَامٌ ، فَمَنْ أَتَقَنَّ بِقُدْرَتِي عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَلَمْ يَتَعَظَّمْ فِي نَفْسِي أَنْ أَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَلَوْ كَثُرَتْ ﴾ .

٢- رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة موقوفا ، عن سلمان رضي الله عنه قال : خلق الله عز وجل الشمس من نور عرشه ، وكتب في وجهها : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، صغت الشمس بقدرتي ، وأجريتها بأمرِي ، وكتب في بطنها : أنا الله لا إله إلا أنا ، رضائي كلام ، وغضبي كلام ، ورحمتي كلام ، وعذابي كلام ، وخلق القمر من نور حجاب الذي يليه ، ثم كتب في وجهه : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، صغت القمر ، وخلقت الظلمات والنور ، فالظلمة ضلالة ، والنور هداي ، أضل من شئت ، وأهدي من شئت ، وكتب في بطنه : إني أنا الله لا إله إلا أنا ، خلقت الخير والشر بقدرتي وعزتي أبتلي بهما من شئت من خلقي .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

- وصح أيضا في الحديث القدسي ، أن رب العزة جل وعلا قال :
﴿عَطَائِي كَلَامٌ ، وَعَذَابِي كَلَامٌ ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١) .

فأول كلام شق أسماع الكائنات كلمة ((كن)) .

فما ظهر العالم إلا عن صفة الكلام ، وهو توجه نفس الرحمن ، على عين
من الأعيان ، في حضرة العدم ، فينفع ذلك العين ، ويخرج إلى الوجود
على حسب ما يراد منه .

والكلام : من الكلم وهو الجرح . لأنه يؤثر في جسم المجروح .

١ - أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد وأحمد والترمذي (وحسنه) والنسائي وابن أبي
حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والبخاري والترمذي والديلمي في الفردوس
وهناد في الزهد عن أبي ذر رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : يَا عِبَادِي
كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَمْرًا دُونَ قُدْرَةِ عَلَى الْمَغْفِرَةِ ؛
فَاسْتَغْفِرْ بِي قُدْرَتِي ، غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أَبَالِ . وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ ، فَسَلُونِي الْهَدَى أَهْدِيكُمْ .
وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ . وَلَوْ أَنَّ حَيْكُكُمْ وَمَيْتُكُمْ ، وَأُولَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ ،
وَرَطْبُكُمْ وَيَابِسُكُمْ ، اجْتَمَعُوا عَلَى قَلْبٍ اتَّقَى عِنْدِي مِنْ عِبَادِي ، لَمْ يَزِيدُوا فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ .
وَلَوْ أَنَّ حَيْكُكُمْ وَمَيْتُكُمْ ، وَأُولَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ ، وَرَطْبُكُمْ وَيَابِسُكُمْ ، اجْتَمَعُوا فَسَأَلَ كُلُّ سَائِلٍ
مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ ، وَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مَا سَأَلَ ، لَمْ يَنْقُصْنِي إِلَّا كَمَا لَوْ مَرَّ أَحَدُكُمْ عَلَى شَفَةِ
الْبَحْرِ ، فَغَمَسَ إِبْرَةً ثُمَّ انْتَزَعَهَا . ذَلِكَ لِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ وَاجِدٌ ، أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ ، عَطَائِي كَلَامِي ،
وَعَذَابِي كَلَامِي . إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

فكذلك الكلام ، فلا بد لكل متكلم من أثر في نفس من كلمه .
والله تعالى - وحده - هو الذي إذا توجه إلى عين بكلام : فلا يملك هذا العين إلا أن ينفعل لكلامه ، ويطيع مقصوده فيه .
وهذا التوجه للأعيان لإخراجها من العدم إلى الوجود ، هو لله وحده بالأصالة ، ويتعدى منه إلى من يكون الحق تعالى : هو لسانه الذي يتكلم به . كما صح في الحديث عن رسول الله ﷺ :

- روى كعب بن مالك ؓ أنه في غزوة تبوك رأى رسول الله ﷺ رجلاً مَبِيضاً يُزْوِلُ بِهِ السَّرَابَ ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ﴾ . فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ ؓ (١) .

- وصح أيضاً عنه ﷺ ، في غزوة تبوك ، أنه نَزَلَ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، فَنَظَرَ نَاطِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ وَحْدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ كُنْ أَبَا ذَرٍّ ﴾ . فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهُ أَبُو ذَرٍّ (٢) .

في هذين الحديثين الصحيحين ، انفعلت الأشياء لرسول الله ﷺ ، عند توجهه عليها بكلمة (كن) .

١- سبق تخريجه ص ٢٦٤ .

٢- سبق تخريجه ص ٢٦٥ .

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه ، قال : ... فإذا تلك المرأة أم الصبي (الذي تفل في فيه رسول الله ﷺ فشفي) فجاءت ومعها شاة مصلية :

فقال لي رسول الله ﷺ : ﴿ يا أسيم : ناولني ذراعها ﴾ .

فامتلخت الذراع فناولتها إياه ، فأكلها .

ثم قال : ﴿ يا أسيم ! ناولني ذراعها ﴾ . فامتلخت الذراع فناولتها إياه ، فأكلها .

ثم قال : ﴿ يا أسيم ! ناولني الذراع ﴾ .

فقلت : يا رسول الله ! إنك قلت : ناولني الذراع ، فناولتكها فأكلتها ، ثم قلت : ناولني ، فناولتكها فأكلتها ، ثم قلت : ناولني الذراع ، وإنما للشاة ذراعان .

فقال رسول الله ﷺ له : ﴿ أما إنك لو أهويت إليها ؛ ما زلت تجد فيها ذراعا ما قلت لك ﴾ .

فهنا كانت تخلق للشاة ذراع ، كلما طلبها رسول الله ﷺ ، وبدون تقيد بكلمة (كن) . أي بمجرد أن يأمر ﷺ أسامة أن يناوله إياها .

وفي نفس الحديث : ثم أراد رسول الله ﷺ أن يقضي حاجته : فقال ﷺ : ﴿ يا أسيم ! اذهب إلى النخلات ، فقل هن : يأمركن رسول الله ﷺ أن يلتحق

الكنز الثاني ————— الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه

بعضكن ببعض ، حتى تكن سترة لمخرج رسول الله ﷺ وقل ذلك للرجم .
قال أسامة رضي الله عنه : فأتيت النخلات ، فقلت لمن الذي أمرني به رسول الله ﷺ ،
فو الذي بعثه بالحق نبيا ! لكأني أنظر إلى تعاقرهن بعروقهن وتراهن ، حتى
لصق بعضهن ببعض ، فكن كأنهن نخلة واحدة (١) .

وهنا أعطى الله - المصطفى ﷺ - القدرة على أن يتعدى (انفعال
المكونات) منه إلى شخص غيره (كأسامة) في هذا الحديث . وبهذا تصبح
الإشارة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ {القصص : ٥٦} . أي
أنك لا تقدر - على من تريد أن تجعله محلا لظهور ما تريد إنشاءه فيه -
أن يكون محلا لوجود إنشائك فيه - إلا بنا . فليس كل متكلم في الدنيا
بإلهي مطلق ، لكن عندما يضيف عليه المولى سبحانه من نعته ، ويخلع عليه من
وصفه ، وهو قوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ يصبح له
الإطلاق وهو قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ {الشورى : ٥٢} .

﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ بَصُولَةٍ ﴾ {الذاريات : ٢٣} .

١ - رواه أبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي معا في الدلائل ، وحسنه ابن حجر في المطالب العالية
(أورده ابن حجر في المطالب العالية (١٠/٤) بطوله ، وقال : إسناده حسن) .

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
الكنز الثانى.....	١٩٧
المشيئة والإرادة والأمر.....	١٩٩
أصحاب المشهد الأول فى القضاء والقدر.....	٢١٦
أصحاب المشهد الثانى فى القضاء والقدر.....	٢١٧
أصحاب المشهد الثالث فى القضاء والقدر.....	٢٢١
أصحاب المشهد الرابع فى القضاء والقدر.....	٢٢٢
التجلى والتعدد والتبدل والتمثل.....	٢٢٣
التجلى.....	٢٢٤
التعدد.....	٢٣٨
الشيخ.....	٢٤٤
التبدل والتحول.....	٢٤٧
التمثل.....	٢٤٩
بصيرة.....	٢٥٣
التشكل.....	٢٦٠
الحلول والاتحاد.....	٢٦١
التصور.....	٢٦٣
التكون.....	٢٦٤
حياة الكون.....	٢٦٩
الفرق بين الولي والخليفة.....	٢٧٦
الشرع.....	٢٧٨
نصرة رسول الله ﷺ.....	٢٨١
مراتب الوجود.....	٢٨٢
١- الذات المقدسة.....	٢٨٥
٢- مرتبة الألوهية.....	٢٨٧
٣- مرتبة الأسماء والصفات.....	٢٩٠

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
الإيمان بما سمي الله تعالى به نفسه.....	٢٩٤
الله جل جلاله.....	٢٩٥
الواحد الأحد.....	٣١٦
الكريم الجواد.....	٣١٧
المعطي الوهاب الرزاق.....	٣١٩
الولي.....	٣٢٢
المقدم المؤخر.....	٣٢٦
الواسع.....	٣٢٨
الأول والآخر والظاهر والباطن.....	٣٣١
الرحمن الرحيم.....	٣٤٨
الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه.....	٣٥٤
الجلال والجمال.....	٣٥٤
الرحمة.....	٣٥٨
الغيرة.....	٣٥٩
الجود.....	٣٦٠
الإيمان بوجه الله تعالى.....	٣٦١
الكلام.....	٣٧٠
فهرس المحتوى.....	٣٧٦

فهرس المحتوى